

## الفصل الستون بعد المئة

### الشعراء الصعاليك

قال صاحب ( اللسان ) : « الصعلوك : الفقير الذي لا مال له ، زاد الأزهري : ولا اعتماد . وقد تصعلك الرجل اذا كان كذلك ، قال حاتم طيء :  
غنيا زماناً بالتصعلك والغنى فكلاً سقناه ، بكأسيهما الدهرُ  
فا زادنا بغياً على ذي قرابة غنانا ، ولا أزرى بأحسابنا الفقر »<sup>١</sup>

« والتصعلك : الفقر . وصعاليك العرب : ذؤبانها . وكان عروة بن الورد يسمى : عروة الصعاليك لأنه كان يجمع الفقراء في حظيرة فيرزقهم مما يغمه »<sup>٢</sup> ، وقيل : الصعلوك : الفقير ، وهو أيضاً المتجرد للغارات »<sup>٣</sup> . والصعاليك ، قوم خرجوا على طاعة بيوتهم وعشائرتهم وقبائلهم ، لأسباب عديدة ، منها عدم إدراك أهلهم أو قبيلتهم نفياتهم ، مما سبب الى نفورهم منهم ، وخروجهم على طاعة مجتمعهم ، وهروبهم منه ، والعيش عيشة الذؤبان ، معتمدين على أنفسهم في الدفاع عن حياتهم ، وعلى قوتهم في تحصيل ما يحتاجون به ، بالإغارة على الطرق والمسالك ، وبمهاجمة أحياء العرب المبعثرة ، أفراداً أو طوائف . وهم أبدأ في خوف من متعقب يتعقبهم ، لاسترداد ما أخذ أو سلب ، ومن متربص يتربص

١ اللسان ( ٤٥٥/١٠ ) وما بعدها ، ( صعلك ) ، ( صادر ) .  
٢ اللسان ( ٤٥٦/١٠ ) ، ( صعلك ) ، تاج العروس ( ١٥٣/٧ ) ، ( صعلك ) .  
٣ جمهرة أشعار العرب ( ١١٥ ) .

بهم الدوائر ، ليأخذ منهم ما غنموه بالقوة من غيرهم أو ما قد يجده في أيديهم .  
ولهذا كانوا يتكثرون أحياناً ، بانضمام بعضهم الى بعض ، مكونين جماعات ،  
جمعت بينها وحدة الهدف ، وغريزة حماية النفس ، والمصلحة المشتركة ، بعد أن  
حرمهم أهلهم ومجتمعهم من تقديم أية مساعدة أو حماية لهم ، وسحب منهم حق  
الأخذ بالتأثر والانتقام ممن قد يعتدي عليهم ، بحق ( العvisية ) ، وبعد أن جعل  
دمهم هدراً ، وتبرأ منهم ومن كل جريرة يرتكبونها ، فلا يطالب أهلهم بدمهم ،  
ولا يطالبونهم بأي دم قد يسفحه الصلوك .

ولا استبعد أن تكون للمغامرة ولائيات الشخصية ، دخل أيضاً في حدوث  
الصلعكة وفي تمرد الشباب على مجتمعهم ، على غرار ما تجده اليوم من تمرد على  
مجتمعاتهم ، لإثبات وجودهم وشخصيتهم في هذه المجتمعات ، بطريقة العبث  
بالعرف والعادات وبدعم المبالاة لأوامر العائلة والمجتمع ، مما يجعلهم يسرون سيرة  
الصعاليك في ذلك الوقت ، فلو نظرنا الى حالة الصعاليك نجد أن منهم من كان  
من أسرة متمكنة أو لا بأس بأحوالها المالية ، ومع ذلك عاش صلوكاً ، لما وجد  
فيها من مغامرات ومجازفات ومطاردة وهجوم ودفاع . فحب المغامرة ، وإثبات  
الشخصية ، من أسباب الصلعكة في الجاهلية كذلك .

والصعاليك بعد ، حاقدون على مجتمعهم ، متردون عليه ، للأسباب المذكورة ،  
نبئت في أكثرهم عقد نفسية ، تكونت عندهم من سوء معاملة المجتمع لهم ، ومن  
سوء فعلهم وتصرفهم الخاطيء تجاه مجتمعهم ، فهم حاقدون لا يباليون من شيء  
ولو كان ذلك سلباً ونهباً وقتل أبناء قبيلتهم وعشيرتهم ، لأنهم خلعوا منها ،  
وحرموا من حق الدم ، فكان خلعها لهم سبب شقائهم ويؤس حياتهم ، فأبي حق  
بقي إذن يمنهم من الحقد على القبيلة ومن مهاجمة العشيرة ؟ ثم إنهم حاقدون  
على مجتمعهم ، لأن منهم فقراء معدمين ، لا شيء عندهم يعتاشون عليه ، ولا  
ملابس لديهم تقيهم من الحر أو البرد أو المطر ، وكل ما تقع أعينهم عليه ،  
هو مفيد لهم نافع ، ومن حقهم بحكم فقرهم انتزاعه من مالكة ، وإن كان مالكة  
فقيراً معدماً مثلهم ، لأن النفس مقدمة على الغير ، وهم يعيون الحامل منهم ،  
الذي يعيش صلوكاً ذليلاً قانماً بما كتب عليه من الذل والتشرد ، عائشاً على  
صدقات الناس ، ويرون الخلاص من هذا الذل بالحصول على المال بالقنا والسيف ،  
فن استعمل سيفه نال ما يريد ، لا يبالي فيمن سيقع السيف عليه ، وإلا عدّ

من ( العيال ) . قال ( السليك ) :

فلا تصلي بصلوك نثوم إذا أمسى يُعد من العيال  
ولكن كل صلوك ضروبٍ بنصل السيفِ همامات الرجال<sup>١</sup>

« ولذلك كان صعاليك العرب ولصوصهم وأرياب الغارة منهم يرون أن ما يحوونه من النعم بالغارة ، ويتألونه بالسرق والسلة ، إنما ذلك مال منعت منه الحقوق ، ودفع عنه بالبخل والعقوق ، فأرسلهم الله اليه وسببه لهم رزقهم إياه ، كما قال عروة الصعاليك :

لعلّ انطلاقي في البلاد وعزمتي وشدي حيازيم المطيئة بالرحل  
سيدفعني يوماً الى رب هجمة يدافع عنها بالعقوق وبالبخل<sup>٢</sup>

« وكما ان فيهم من يتمدح ببذل القرى ومعاناة الطوى ، وتحمل الكلفة ومواساة ذوي الخلة ، فكذلك فيهم البخيل الجامع ، واللثيم الراضع ، ومن يؤثر التفرد بناره والاستثثار بزاده دون ضيفه وجاره . وينشد لبعضهم :

أعددت للأضياف كلباً ضارياً عندي وفضل هراوة من أرزن

وقال الآخر :

ولاني لأجفو الضيف من غير بغضة مخافة أن يغري بنا فيعود

وقال الأصمعي : مرَّ ابن حمارة بالخطيئة ، فقال : السلام عليك . قال : قلت ما لا ينكر . قال : إني أردت الظل . قال : دونك ، والجبل حتى يفيم عليك . قال : اني خرجت من عند أهلي بغير زاد . قال ما ضمننت لأهلك قراك . قال : اني ابن حمارة . قال : كن ابن نعامة . فضي عنه آيساً .

قال : وخرج الخطيئة يوماً من خبائه ويده عصا ، فقال له رجل : ما هذه؟ قال : عجرا من سلم . قال : اني ضيف . قال : للضيف أعددها<sup>٣</sup> .

١ الشعراء الصعاليك (٢٣٥) .  
٢ الجمان في تشبيهات القرآن (٢٦٢ وما بعدها) .  
٣ الجمان في تشبيهات القرآن (٢٦٠ وما بعدها) .

والحطيثة من الملحقين في السؤال المستجدين الذين لا ينجلون من الاستجداء .  
فكان يلح في شعره بالطلب ، ومحاول بكل الطرق جمع المال ، حتى أهان نفسه ،  
ولم يترك رجلاً معروفاً إلا ذهب إليه يسأله أن يعطيه مما عنده . فلما عيّن (عمر)  
( علقمة بن علاثة ) على حوران ، قصده ( الحطيثة ) ، فوجده قد مات ،  
فقال :

وما كان بيني لو لقيتك سالماً وبين الغنى إلا ليال قلائل<sup>١</sup>

فأعطاه ولده مائة ناقة مع أولادها .

وقد عاب ( الأعمش ) ( علقمة بن علاثة ) ، بقوله :

تبيتون في المشى ملاءً بطونكم وجاراتكم غرثى بيتن خمائصاً<sup>٢</sup>

وقد وجد الصعاليك في الأغنياء البخلاء ، هدفاً صالحاً لهم . فهؤلاء أصحاب  
مال ، وهم أصحاب جوع ، ولا بسد للجوعان من أن يعيش ، فلم يجدوا في  
مباغثة الأغنياء أي حرج يمنعهم من السطو على أموالهم ، لأنها زائدة عليهم ،  
وهم في حاجة إليها ، وبذلك يضمنون لأنفسهم ولاخوانهم الجياع الصعاليك أسباب  
الحياة ، فالحاجة عندهم تبرر الوسطة، وإذا امتنع إنسان على صعوك وأبى تسليم  
ما عنده إليه ، فهو لا يبالي من قتله ، فالقتل ليس بشيء في نظره ، منظره  
مألوف ، والفقر ذاته قتل للإنسان ، بل أشد فتكاً به من القتل ، والصعوك  
نفسه لا يدري متى يقتل ، فلا عجب إذا ما رأى القتل وكأنه شربة ماء .

وكان ( أبو عبيدة ) ، لا يستأنس بسماع شعر الصعاليك ، لأنهم فقراء ،  
قال ( أبو حاتم ) : « جئت أبا عبيدة يوماً ، ومعني شعر عروة بن الورد ،  
فقال : فارغ حل شعر فقير ليقرأه على فقير »<sup>٣</sup> ، فهو من المحبين للأغنياء ،  
وما الذي يجنيه من الفقراء ! وكان ( أبو مالك عمرو بن كركرة ) البصري ،  
مثل ( أبي عبيدة ) في الابتعاد عن الفقراء ، بل كان أشد منه تعصباً عليهم ،

- ١ الجمان في تشبيهات القرآن ( ٢٨٨ ) .
- ٢ الجمان في تشبيهات القرآن ( ٢٥٩ ) .
- ٣ أمالي المرتضى ( ٦٣٨ / ١ ) .

« قال الجاحظ : كان أحد الطيِّاب ، يزعم أن الأغنياء عند الله أكرم من الفقراء . ويقول إن فرعون عند الله أكرم من موسى »<sup>١</sup> . و ( ابن كركرة ) أعرابي ، وكان مرجع الأعراب الوافدين إلى البصرة ، وقد تحدث عنه ( الجاحظ ) في كتبه .

وقد عرف الصعاليك بـ ( الذؤبان ) وبـ ( ذؤبان العرب ) ، « وذؤبان العرب لصوصهم وصعاليكهم وشطارهم الذين يتلصصون ويتصلكون ، لأنهم كالذئب »<sup>٢</sup> . وعرفوا بالصوص لأنهم كانوا يتلصصون . واللص السارق ، في لغة طيء<sup>٣</sup> ، وقيل لهم : ( الشطار ) . « والشاطر من أعبي أهله ومؤدبه خبثاً ومكرأ ، جمعه الشطار كرمآن . وهو مأخوذ من شطر عنهم ، إذا نرح مراغماً . وقد قيل أنه مولد »<sup>٤</sup> . وعرفوا بـ ( الخلاء ) ، والخليع الشاطر ، « وهو مجاز سمي به ، لأنه خلعتة عشيرته وتبرأوا منه ، أو لأنه خلع رسنه . ويقال : خلع من الدين والحياء »<sup>٥</sup> . « وكان في الجاهلية إذا قال قائل منادياً في الموسم : يا أيها الناس ! هذا ابني قد خلعتة ، وذلك إذا خاف منه خبثاً أو خيانة ، أو من هو بسبيل منه ، فيقولون : إنا قد خلعتنا فلاناً ، أي فإن جر لم أضمن ، وإن جر إليه لم أطلب . يريد تبرأت منه . وكان لا يؤخذ بعد بجزيرته وهو خليع »<sup>٦</sup> . و ( الخلاء ) جماعتهم « واختلعه إذا ذهبوا بماله »<sup>٧</sup> . ولعل لهذا التفسير صلة بالصعلكة التي تعني الفقر ، والفقر والإملاق والجوع من أهم الملازمات التي لازمت ورافقت الصعاليك ، وفي هذا المعنى أيضاً ما جاء في كتب اللغة : « وشفر المال تشفيراً : قلّ وذهب »<sup>٨</sup> ، ولعل للفظ ( الشنفرى ) ، صلة بهذا المعنى ، وقد تكون للفظ ( الرجل ) التي تعني البؤس والفقر<sup>٩</sup> ، صلة بهذا المعنى كذلك . فقد عرف الصعاليك بـ ( الرجلين )

١ الفهرست (٧٢) .

٢ تاج العروس (٢٤٨/١) ، ( ذاب ) ، الخزانة (٥٣٢/٣) .

٣ تاج العروس (٤٣٢/٤) ، ( لص ) .

٤ تاج العروس (٢٩٩/٣) ، ( شطر ) .

٥ تاج العروس (٣٢١/٥) ، ( خلع ) .

٦ تاج العروس (٣٢١/٥) ، ( خلع ) .

٧ تاج العروس (٣٢٢/٥) ، ( خلع ) .

٨ تاج العروس (٣٠٨/٣) ، ( شفر ) .

٩ تاج العروس (٣٣٨/٧) ، ( رجل ) .

وب ( الرجلاء ) ، وعرف الواحد منهم ب ( الرجل )<sup>١</sup> ، وقد تكون للفظه ( الخلع ) صلة بالفقر والإملاق كذلك ، بدليل ما ذكره في تفسير ( المعيل ) من قولهم : « المعيل : الذي قصر ماله وعليه عيال »<sup>٢</sup> . وقد عرف الصعاليك ب ( الرجلين ) لاستعمالهم أرجلهم في الإقدام والهروب ، لأنهم فقراء لا يملكون غير أرجلهم تحملهم الى المواضع التي يريدون سرقتها ، إذ لا خيل لهم يركبونها لعجز أكثرهم عن شرائها ، فلا يكون أمامهم غير الاعتماد على الرجل .

والجوع حليف ملازم للصعاليك ، لم ينفر منهم ، ولم يبتعد عنهم لذلك كثر الحديث عنه في شعرهم وفي أخبارهم . وقد كانوا يهربون منه ، لكنهم لم يفلتوا منه . فقد كان ممسكاً بهم ، ملازماً لهم ، ما داموا صعاليكة ، فالجوع نفسه جزء من أجزاء الصعلكة . وفي شعر ( عروة بن الورد ) أن الجوع كان يتزل به ، حتى يكاد يهلكه ، أنزل به الهزال ، وأراه الموت ، لولا أنه كان يتهرب منه بالغارة ، لينال منها البلغة ، فالنابا خبير من الهزال المقيت الميت<sup>٣</sup> . وفي شعر للسليك بن السلعة ، أن الجوع كان يغشاه في الصيف ، حتى كان إذا قام تولاه اغماء شديد ، يريه الدنيا ظلاماً من أثر الجوع<sup>٤</sup> .

وما دامت حياة الصعلكة جوع وفقير ، وإملاق وهروب من متعقب ، فالموت خير للصلوك من حياة يعيشها فقيراً ، لا أقارب له تعطف عليه ، ولا أهل يشفقون عليه ، ولا قوم يراجعونه ويتعهدونه بالحماية<sup>٥</sup> ، حياته موحشة قاسية ، تفور بالأخطار والتهلكة والمغامرات ، لا يدري متى يأتيه الموت ومن أين يأتيه ، إذا نام ، خاف من غادر قد يغدر به ، ومن متعقب يتعقب أثره ، ومن طالب نأر يريد الأخذ بثأره منه ، ومن حيوان صلوك مثله ، يريد أن يقضي على

- ١ تاج العروس ( ٣٣٩/٧ ) ، ( رجل ) ، ( أجارت السليك بن السلعة السعدي ، وكان رجلياً ) ، المحبر ( ٤٣٣ ) .
- ٢ تاج العروس ( ٣٢١/٥ ) ، ( خلع ) .
- ٣ أقيموا بني لبني صدور ركابكم فان منايا القوم خير من الهزل ديوان عروة ( ١٠٦ ) .
- ٤ الاغانى ( ١٣٥/١٨ ) .
- ٥ اذا المرء لم يبعث سواما ولم يرح عليه ، ولم تعطف عليه أقاربه فللموت خير للفتى من حياته فقيراً ، ومن مولى تدب عقاربه ديوان عروة ( ١٥٠ ) ، وينسبان لغيره ، حماسة أبي تمام ( ١٦٧ ، ١٦٦/١ ) .

جوعه باقتراسه ، وهو معذور في ذلك لأنه جائع لا طعام له ، ومن هنا هان الموت في نظر الصعلوك ، فهو معه يتبعه مثل ظله وملازم له ، وتولدت في نفسه فلسفة ( الآجال ) : فلسفة ان لكل نفس أجل ، وأن كل نفس ذائقة الموت ، وأن الإنسان مهما عاش وعمر ، فلا يد من أن يلاقي الموت ويستجيب له ، لن ينجيه منه قصر ( ريمان ) ، ولا حرس أبوابه المدججون بالسلاح ، يمنعون الناس من دخوله ، فالموت لا يعرف حرس القصور ولا يحول بينه وبين من يريد الوصول اليه حائل مهما كان . قال أبو الطمحان القيني :

لو كنتُ في ريمان تحرس بابه أراجيل أحبوش وأغضف ألف  
إذن لأتني حيث كنت منيتي يجبُ بها هاد بأمرِي قائفاً

ولقرب الموت من الصعاليك ، ولتعقب أصحاب الثأر دوماً لهم ، لازموا سلاحهم ، فكانوا لا ينامون إلا وسيفهم معهم . كما لازمهم الرقاد والسهر بالليل ، خشية مباغته غادر لهم ، والليل رفيق الغدر . لذلك كان ليلهم قصيراً ، ونومهم قليلاً ، من شدة قلقهم ومن تحسبهم لتعقب طلاب الثأر لهم ، ونجد في شعرهم اشارات الى مظاهر القلق الذي كان يستولي عليهم ، فيحول بينهم وبين النوم . ونجد في شعر للشنفرى توجع وتألم ومرارة ، وإن صيغ بصورة الاستهتار بالموت وبالحياة ، فهو إن جاءه الموت ، فلن يبالي ، ولم يبالي ، وهو انسان خليع بائس ، إن مات لا يجد من يبكي عليه أحد . فأني توجع أشد من هذا التوجع المصوغ في هذا البيت الساخر :

إذا ما أتني ميتي لم أبالها ولم تذر خالاتي الدموع وعمتي<sup>١</sup>

ولكن الحياة على ما فيها من مرارة وشقاء ، مطلوبة محبوبة ، فرب لحظة فيها حبور تنسي كل ما كابده الانسان من تعاسة وشقاء ، والموت مكروه ممقوت ، وإن تمنأه المتمني ، وما تمنيه له إلا لثورة طارئة في النفس ولضيق في الصدر ، فإذا بان الموت لمتنيه ضاق صدره ، وتمنى لو مد في عمره . يدفعه الأمل الى

١ الاغاني ( ١١ / ١٣٣ ) .

٢ الاغاني ( ٢١ / ١٣٩ ) ، الشعراء الصعاليك ( ٣٣ ) .

التفكير في احتمال تغير الأوضاع ، وتحسن الحال ، والحصول على الغنى والمال ، بشرط أن يسعى ويضرب في الأرض وأن يكون صادق العزيمة ، لا ينحور أمام المصائب مها كانت شديدة عاتية ولا ينهار منها :

فسر<sup>١</sup> في بلاد الله والتمس الغنى تعش ذا يسار أو تموت فتعذرا<sup>٢</sup>

وقد كان عماد الصعلوك في حياته ، قوته الجسدية وسلاحه الذي يجارب به ، وجاعته الذين يأوي اليهم ، وكان يقا تل بضاورة ، قتال المستميت ، لأنه إن لم يدافع عن نفسه ، هلك ، إذ لا أمل له في وجود عصبية تدافع عنه ، أو أهل يقومون بافتدائه وتخليصه من أسر إن وقع فيه ، وسيله الوحيد لخلاصه عند قيامه بغارة : المباغتة والهرب مما قد يحصل عليه بسرعة ، كي يأمن العاقبة ، وعمل الحيلة في التخلص من المآزق ، لكيلا يقع في ايدي متعقبه ، فيكون بذلك هلاكه ، وفي جملة ذلك الفرار ، للنجاة بالنفس من موت محتم . وهو فرار يؤدي به الى معاودة الغارة والتلصص ، إذ لا مورد له في هذه الحياة يتعيش منه غير هذين الموردين . فحال في هذا الفرار حال (أبي خراش ) الهللي حيث يقول :

فإن تزعمي أنني جينت<sup>٣</sup> فإنني أفر وأرمي مرة كل ذلك  
أقاتل حتى لا أرى لي مقاتلاً وأنجو إذا ما خضت بعض المهالك<sup>٤</sup>

ونظراً لفقر الصعاليك ، وعدم وجود مال لديهم يكفل لهم شراء فرس يركبونها في غاراتهم ، اعتمد أكثرهم على أرجلهم في طلب رزقهم، وفي الحصول على معاشهم ، وعلى خفة حركاتهم ، وسرعتهم في الهروب من تعقب المتعقبين لهم في حالي الفشل أو النجاح . وكان من بينهم من ضرب به المثل في زمانه في شدة العدو ، وفي سرعة الركض ، ورويت عنه الأقاصيص في ذلك . منهم ( سليك بن المقائب بن السلكة ) ، وهو عداء بالغ . يقال : أعدى من السليك<sup>٥</sup> . وقد عرفوا لذلك بـ (العدائين) لشدة عدوهم<sup>٤</sup> ، جمع (عداء ) ، ومنهم أيضاً

- ١ ديوان عروة (١٩١) .
- ٢ ديوان الهذليين (١٦٩/٢) ، الدكتور يوسف خليف ، الشعراء الصعاليك (٤٠) .
- ٣ تاج العروس (٤٠٩/١) ، (غرب) .
- ٤ الخزانة (١٧/٢) .

( الشنفرى ) : « شاعر عداء . ومنه المثل : أعدى من الشنفرى »<sup>١</sup> ، « وكان من العدائين . وفي المثل : أعدى من الشنفرى »<sup>٢</sup> . كما عرفوا بـ ( الرجلين ) وبـ ( الرجلاء ) ، وهم « قوم كانوا يعدون . كذا في العباب . ونص الأزهري : يغزون على أرجلهم ، الواحد رجليّ محرّكة أيضاً ... وهم سليك المقانب ، وهو ابن سلكة ، والمتشر بن وهب الباهلي ، وأوفى بن مطر المازني »<sup>٣</sup> ، « والرجلة بالفتح وبالكسر : شدة المشي ، أو بالضم القوة على المشي ، وفي المحكم : الرجلة بالضم المشي راجلاً »<sup>٤</sup> . وقد صار العدو من أهم صفاتهم ومميزاتهم التي امتازوا بها عن غيرهم ، حتى قيل إن الخليل لم تكن تلحق بهم . وفتوا بأنهم كانوا أشد الناس عدواً ، وأنهم « لا يجارون عدواً » ، « لا يلحقون »<sup>٥</sup> . ومن العدائين : ( تأبط شراً ) ، و ( عمرو بن البراق ) ، و ( أسيد بن جابر )<sup>٦</sup> . وورد أن العرب كانت تضرب بالسليك المثل في العدو ، وترغم أنه والشنفرى أعدى من رثي<sup>٧</sup> .

وضرب المثل بسرعة عدوهم ، واتخذ القصاص من شدة عدو الصعاليك مادة أدخلوها في قصصهم ، وبالغوا فيها لتناسب طابع القص واسلوبه ، وقد وجد بعضه سيلاً إلى كتب الأخبار والأدب والعجائب وال نوادر . وتؤلف المبالغات في سرعتهم وعدوهم أهم عنصر في القصص الذي يتحدث عنهم ، نجد فيها أن الصعلوك يسابق الخليل ، فيسبقها ، هذا ( أبو خراش ) الحلبي ، يدخل مكة ، فوجد ( الوليد بن المغيرة ) المخزومي ، يهيم بإرسال فرسين له إلى ( الحلبة ) فيقول له : ما تجعل لي إن سبقتها ؟ قال : إن فعلت فهذا لك ، فأرسلا وعدا بينهما فسبقها فأخذها<sup>٨</sup> . وهذا ( تأبط شراً ) يوصف بأنه « كان أعدى ذي رجلين وذو ساقين وذو عينين ، وكان إذا جاع لم تقم له قائمة ، فكان ينظر

- ١ تاج العروس ( ٣١٨/٣ ) ، ( الشنفرية ) .
- ٢ تاج العروس ( ٣٠٨/٣ ) ، ( شفر ) .
- ٣ تاج العروس ( ٣٣٩/٧ ) ، ( رجل ) ، ثمار القلوب ( ١٣٥ ) .
- ٤ تاج العروس ( ٣٣٦/٧ ) ، ( رجل ) .
- ٥ الاغانى ( ٤٩/١٢ ) ، ( ١٣٣/١٨ وما بعدها ) ، المرزباني ( ٤٦٨ ) ، الخزائنة ( ١٦/٢ ) .
- ٦ تاج العروس ( ٣٠٨/٣ ، ٣١٨ ) ، ( شفر ) ، ( شنفر ) .
- ٧ ثمار القلوب ( ١٣٤ ) .
- ٨ الاغانى ( ٥٧/٢١ ) .

الى الظباء ، فينتقي على نظره أسمنها ، ثم يجري خلفه ، فلا يفوته حتى يأخذه فيذبجه بسيفه ، ثم يشويه فيأكله<sup>١</sup> . الى غير ذلك من قصص وحكايات .

وقد فخر العداؤون بشدة عدوهم ، وتباهوا بمقدرتهم على العدو السريع ، حتى أنهم نسبوا سبب نجاتهم من الموت الى عدوهم هذا ، لا الى قتالهم وشجاعتهم ، وبالغوا في شعرهم به ، حتى ذكروا أنهم كانوا يسبقون الخيل والظباء بل الطير<sup>٢</sup> . هو نوع من ( البطولة ) في مفهوم الصعاليك ، حتى أنهم - كما قلت - فضّلوه على الشجاعة ، وإذا كانت الشجاعة ضرب من الإقدام وإظهار المقدرة والرجولية ، فالركض فراراً ، نوع من البطولة أيضاً ، فيه مقدرة وشجاعة في ضبط الأعصاب وفي التصميم والإقدام على السلامة والنجاة بالنفس وبقاء الحياة وهكذا أوجدوا لفرارهم عدواً اعتلروا به ، فهم إن اختاروا الفرار وفضلوه على المعركة والقتال فإنما اختاروه لأن فيه أمل المعاودة الى قتال جديد ، ثم إنهم لا يرون سبباً يدعو الإنسان الى أن يرمي نفسه في المهالك ، وأن يكون طعاماً للوحوش الكاسرة<sup>٣</sup> . فليس في الهروب جبن ، وليس في الإقدام شجاعة ، والعامل من اتعظ فنجي نفسه من الموت ، وفي النجاة شجاعة .

وقد كان لسرعة عدو الصعاليك العدائين فضل كبير عليهم في النجاة من المهالك المحتمّة ، هذا ( تأبط شراً ) ، يذكر في شعر له انه وقع في فخ في موضع ( العيكتين ) ، وكاد يهلك ، لولا استعانته بالركض ، ولا أحد أسرع منه ، وبذلك نجا وخلص من الوقوع في داهية<sup>٤</sup> . فلا عجب اذن ، اذا ما افتخروا بسرعة عدوهم ، وجأهروا بما لأرجلهم من فضل ومنة عليهم . فلولا العدو لما خرج ( أبو خراش ) سالماً من موت كان قد أحاق به ، ولكنه غلب الموت بشدة عدوه وهروبه منه ، فعاد سالماً معافى الى حليلته ، فاستقبلته ابنته بقولها : « سلمت وما إن كدت بالأمس تسلم » ، وأنقذ بذلك ابنه ( خراش ) من الوقوع في اليم<sup>٥</sup> .

- ١ الاغاني ( ٢١٠/١٨ ) .
- ٢ الشعراء الصعاليك ( ٢٠٩ وما بعدها ) .
- ٣ الشعراء الصعاليك ( ٢٠٩ وما بعدها ) .
- ٤ المفضليات ( ٧ وما بعدها ) ، الشعراء الصعاليك ( ٤٢ ) .
- ٥ الاغاني ( ٥٦/٢١ وما بعدها ) ، ديوان الهذليين ( ١٤٨/٢ ) .

فلا عجب اذن ، إن رأينا ( الحاجز الأزدي ) ، يفدي رجله بأمه وخالته ، وهو فداء في نظرنا غريب ، لكنه ليس بغريب ، بالنسبة الى انسان رجلاه رأساه في هذه الحياة ، بفضلها سلم من المهالك ، وحصل على قوته ، ولولاهما لكان من الهالكين :

فدى لكما رجليّ أمي وخالتي بسعيكما بين الصفا والآثاب

وكان الصعاليك يغيرون فرساناً كذلك ، كانوا يجيدون ركوب الخيل والإغارة عليها ، وعدّ بعضهم من خيرة فرسان الجاهلية . ولعروة بن الورد فرس يسمى (قرمل)<sup>٢</sup> ، وللصليح فرس يسمى (النحام)<sup>٣</sup> ، وللشغرى فرس يسمى (اليحموم)<sup>٤</sup> ، وقد عرفت هذه الأفراس بشدة عدوها .

والسلاح للصعلوك ، هو الحياية الوحيدة التي يتقي بها أذى الناس ، ويستعين بها في القضاء على خصمه ، وهو السيف والقوس والرمح والدرع والمغفر ، وكان لا يفارق سلاحه ، لأنه لا يلدي متى يتقض عليه عدو له فيقتله ، فكان لا بد له من حمل سيفه معه ، واعتناقه له حين نومه ، وقد عد (عروة بن الورد) ، و ( عمرو بن براق ) السلاح رأساهما الذي يتكلمون عليه في هذه الحياة \* .

ولصعوبة تصعلك الرجل بمفرده ، تكتل الصعاليك كتلاً ، وكوتوا لهم فرقاً ، تكوّنت من أشنات وأنماظ من الرجال ، فيهم الحرّ الثائر ، وفيهم الضالّ الغاوي ، وفيهم الأسود العبد ، وفيهم القاتل الفاتك . وهم بالطبع من قبائل مختلفة ومن بطون متنافرة . فلا تجمعهم عصبية القبيلة ، ولا نخوة العشيرة ، ومع ذلك فينبهم رابطة قوية ، ووحدة جمعت بينهم ، هي وحدة الدفاع عن النفس ، والذب عنها ، والكفاح في سبيل المعيشة ، بأي سبيل ، وبأية طريقة وجدت ووقعت ، حتى بالقتل . فن وجد شخصاً ومعه مال ، لا يجد الصعلوك والقاتل سبباً أخلاقياً

١ الاغاني ( ٥٢/١٢ ) .

٢ قال عروة :

كليلسة شيباء التي لست ناسياً وليلتنا اذ من ما من قرمل  
تاج العروس ( ٧٩/٨ ) ، ( القرمل ) .

٣ ذيل الامالي ، للقالي ( ١٨٨ ) .

٤ ديوان الشغرى ، تحقيق الميمني ، ( لجنة ) ( ص ٤٠ ) .

٥ ديوان عروة ( ٢٠٧ ) ، الاغاني ( ١٧٥/٢١ ) .

يُمتنع من قتله للحصول على ماله . فلما كان ( عروة بن الورد ) في أرض ( بني  
 النقين ) يربص المارة ، فرت به إبل ، فيها ظعينة ورجل يجرسها ، خرج إليه  
 ( عروة ) فرمى الرجل بسهم في ظهره ، أراحه قتيلاً ، واستاق الإبل والظعينة<sup>١</sup> .  
 ولما خرج ( الأخينس ) الجهني فلقني ( الحصين ) العمري ، وكانا فاتكين ،  
 وسارا حتى لقيا رجلاً من كندة في تجارة أصابها من مسك وثياب وغير ذلك ،  
 طمعا به ، فاغتره ( الحصين ) فضرب بطنه بالسيف فقتله ، واقتسما ماله ، ثم  
 ركبا ، وطمع ( الأخينس ) في مال ( الحصين ) فربص به الفرص حتى أخذه  
 على غرة فقتله واستولى على ما كان عنده ، في حكاية تروى ، وفيه يقول الأخينس  
 على لسان ( صخرة ) أخت ( الحصين ) :

تسأل عن حصين كل ركب وعند جهينة الخبر اليقين<sup>٢</sup>

فالفاتك لا يجد مانعاً أخلاقياً يمنع من الفتك بأي شخص إن وجد عنده المال  
 ووجد له فرصة مؤاتية ، ثم هو لا يمتنع من الفتك حتى يزميله وصاحبه وشريكه  
 في الإغارة والفتك ، والتاجر لا يأمن من حراسه ومن مرافقيه حتى يصل مقره ،  
 لأن الفقر لا يعرف أخاً ولا صديقاً وشريكاً ، قاتل الله الفقر ووقانا شره !

ونجد ( تأبط شراً ) ، يتبجح في شعر ينسب له ، فيقول انه لا يبيت الدهر  
 إلا على فتي أسلبه ، أو على سرب أذعره<sup>٣</sup> . ونجد صاحب ( لامية العرب ) ،  
 إن صح أنها للشنفرى ، يصف غارة ملأت الرعب في قلب من وقعت عليهم ،  
 قام بها في ليلة باردة ، عاد منها سالماً معافى بغنائم ، وهو فرح بما تركه من  
 قتل وسلب وألم في نفوس النساء والأطفال ، إذ يقول :

فأبتم نسوانا ، وأبتم إلدةً وعدت كما أبدأت ، والليل أليل<sup>٤</sup>

ونجد ( السليك ) يخرج مع صعلوكين يريدون الغارة ، فساروا حتى أتوا بيتاً  
 متطرفاً ، ووجد شيخاً غطى وجهه من البرد ، وقد أخذته إغفاءة ، ومعه إبله

- ١ ديوان عروة ( ١١٣ ) ، ( اخراج عبد المعين الملوحى ) .
- ٢ عيون الاخبار ( ١٨١/١ وما بعدها ) ، ( طبعة وزارة الثقافة والارشاد القومي ) .
- ٣ الاغانى ( ٢١٧/١٨ ) .
- ٤ الشعراء الصعاليك ( ٤٩ ) .

ترعى ، فأسرع اليه وضربه بسيفه فقتله ، ونهبوا إبله ، وعادوا بها مسرعين فرحين ، خشية شعور الحي بأمرهم وتعقبهم لهم . قتله دون أن يشعر بوخزة ضمير ، لقتله انساناً نائماً طاعناً في السن يرعى إبله ، وإن وجدناه يبرر فعلته هذه ، بأنه لم يتل هذه الإبل إلا بعد أن صكه الجوع ، واستولى عليه الفقر ، فهو قد قام به مضطراً<sup>١</sup> ، والضرورات تبيح المحظورات .

ونرى ( صخر الغي ) المزني ، يقول في شعر له ، انه قتل رجلاً من ( مزينة ) وسلبه ماله ، ليقوى به مال رجل فقير ، لا يملك مالا<sup>٢</sup> :

في المزني الذي حششت به مالَ ضريك تلاده النكد<sup>٢</sup>

وعلى الرغم من هذا العنف، ومن هذه القساوة العنيفة ، التي تصل الى الوحشية ، نرى عند بعضهم ، روحاً إنسانية ، فيها العطف على الضعيف ومساعدة المحتاج وبذل المال والنجدة ، والبر للأهل والأقارب بل وللغريب أيضاً . بل نجد هذه الروح أحياناً حتى عند القساة منهم ، وسبب ذلك أن الصعاليكة في ثورات نفسية ، يعيشون عيشة قلق مضطربة ، فإذا كانوا في ثورة جامحة من جوع وحاجة وتآلم بما حلّ بهم وبما هم فيه من سوء حال ، هاجوا فكفروا بكل شيء ، وثاروا على كل شيء وعلى كل أحد ، وصاروا لا يباليون بعرف ولا سنة ، يقتلون لأنفهم الأسباب ، لأنهم معرضون أنفسهم في كل لحظة للقتل . ثم إن القتل لا شيء بالنسبة الى تلك الأيام ، وان تعاطف في نظرنا . فهم في ذلك مثل الأسود الجائعة ، لا تهاب بشيء ، وكل همها الحصول على فريسة لتأكلها فتعيش عليها ، فاذا وجد الصعلوك غنيمة ، وعاد الى مقره سالماً ارتخت أعصابه ، وهدأت سورتة ، وتذكر نفسه وما يقاسيه من ألم وجوع ، فيعود إنساناً آخر ، باراً بأصحابه حنوناً عليهم ، نادماً على حياة يعيشها جعلته يعيش مثل الوحوش الكاسرة ، كريماً يعطي مما ناله بقوته وبسلاحه وبلدائه . هذا ( عروة بن الورد )<sup>٣</sup> و ( أبو خراش ) الهللي

١ وكادت لاسباب المنية أعرف  
إذا قمست تغشاني ظلال فأسدف

وما نلتها حتى تصعلكت حقبه  
وحتى رأيت الجوع بالصيف ضرني  
الشعراء الصعاليك ( ١٨٢ وما بعدها ) .

٢ الشعراء الصعاليك ( ٢٣٨ ) .

وغيرهما ، نجد فيهم التقيضين ، نجد فيهم القسوة بل الوحشية ، ثم نجد فيهم العطف والشفقة والرحمة والاشفاق على الضعفاء ، وما الجمع بين التقيضين إلا من واقع هذه الظروف النفسية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية والادارية التي كانوا يعيشون فيها .

وفي شعر ينسب الى ( أبي خراش ) الهذلي ، امتداح للكرم ولكرامة الانسان في الحياة ، وترفع عن المذلة وتباهٍ بإيثار الغير على نفسه ، مع انه فقير صعلوك ، فهو يقول :

واني لأتوي الجوعَ حتى يملي فيذهب لم يدنس ثيابي ولا جرمي  
وأغتبِق الماء القراح فأنتهي اذا الزاد أمسى للمزجِ ذا طعم  
أرد شجاع البطن قد تعلمينه وأوثر غيري من حبالك بالطعم  
مخافة أن أحيا برغم وذلة وللموتُ خيرٌ من حياة على رغمٍ

وقد عاش هؤلاء على المباغثة والغارات ، فكانوا يتسترون في المواضع الوعرة ، وفي مفارق الطرق وشعاب الجبال حتى اذا مر بهم مار ، ووجدوا أن في إمكانهم الحصول على غنيمة ، باغثوه ، وأخذوا منه ما هو عنده . وقد يغيرون على الأحياء ليلاً ، فيأخذون ما يجدونه أمامهم ، ثم يجرون بسرعة حتى لا يدرკهم أحد ، ليصلوا الى مواضع آمنة بعيدة عن التعقيب ، مثل الكهوف والمغاور والآكام ، يأوون اليها ويعيشون بها عيشة الخائف المتشرد الهارب من مجتمعه ، الحاقد عليه ، لأن في قلبه حقداً عليه ، لأنه لم يفهمه ولم يفهم سبب نقمته على مجتمعه . وأكثرهم من الشباب الذين خرجوا على طاعة أوليائهم أو على عُرْف مجتمعتهم ، أو عملوا معاملة أشعرتهم انها اذلتهم وجرحت كرامتهم ، فانفصلوا بذلك عن أهلهم وعشيرتهم أو فصلهم أهلهم عنهم ، فلم يبق أمامهم من سبيل سوى التصمك والتشرد .

وكان من هؤلاء مثل ( عروة بن الورد ) من جمع حوله الصعاليك ، ولقبتهم حوله ، فكان يغزو بالقوي الجسر منهم ، فإذا أصابوا مغنماً جاءوا به الى أصحابهم الضعفاء ممن لا يتمكن أو لا يتجاسر على الغارة ، فيصيبونهم بما أصابوا ويعينونهم بما غنموا ، وحياة على مثل هذا الطراز ، هي حياة شديدة قاسية ولا شك .

١ ديوان الهذليين ( ١٢٧/٢ ) ، ( دار الكتب ) ، الاغاني ( ٤٢/٢١ ) .

وقد كانت المرتفعات الصعبة المشرفة على المسالك والطرق الضيقة من أهم الأماكن المحيية الى نفوس الصعاليك وقطاع الطرق ، يحتمون بالمواضع المشرفة منها على الطرق لمراقبة المارة ، من ( مرقبة ) تخفي معالمها لكلا يراها أو يظن لوجودها سلاك الطرق ، فاذا مروا بها اقتضوا عليها منها ، وكأهم هبطوا عليهم من السماء . ونجد لها ذكراً في شعر الصعاليك واللصوص وقطاع الطرق<sup>١</sup> . وقد اشتهر جبل هذيل بمرقباته ، ورد : « المرقبة جبل كان فيه رقباء هذيل »<sup>٢</sup> .

ونجد في شعر ( تأبط شراً ) أنه كان يغير على ( أهل المواشي ) و ( أهل الرقيب ) والحب ، وعلى ( أرباب المخاض ) ، فعند هؤلاء ما يطمع فيه الفقير الصعلوك من مال وحب يعتاش عليه ، ومن نوق حوامل<sup>٣</sup> . ونرى ( الأعلم ) الهذلي ، يذكر أنه يغزو المترف السمين ، الذي يعيش بين الستائر والكنيف ، بينما هو وأمثاله لا يملكون شيئاً ، فاذا هاجموه ، خاف وأهدت كيانه<sup>٤</sup> . ولهذا صار الساكنون في الأرضين الحصبة والتجار والسابلة من خيرة الأهداف التي كان يترصد لها الصعاليك ، لعلمهم بوجود شيء عند أصحابها ، أكثر مما يجدونه عند الأعراف الضارين في البوادي النائية المكشوفة .

ويطمع الصعاليك أيضاً بعضهم في بعض ، فالحياة جوع وفقر ، والفقير كافر لا يعرف عرف ( المهنة ) ولا مجاملات الصنف ، ثم هم أبناء البادية ، يؤمن طبع البادية ، أن يغير أبنائها بعضهم على بعض ، للحصول على لقمة العيش ، فكان الصعاليك تبعاً لهذه السنة يغير بعضهم على بعض ، خاصة اذا كانوا صعاليك متعادية . فكان بين صعاليك هذيل وصعاليك قهم ، عدااء شديد ، وحقد دفين ، بسبب العداوة بين الحيين<sup>٥</sup> ، عداوة مرجعها تجاوز الحيين ، واختلاف مصالحها الحيوية ، وطمع القبيلتين في ( بجيلة ) ، و ( بجيلة ) في جوار ( الطائف ) ، وهي غير

١ الشعراء الصعاليك ( ١٨٦ وما بعدها ) .

٢ تاج العروس ( ٢٧٦/١ ) ، ( رقب ) .

٣ فيوما على أهل المواشي وتارة لاهل رقيب ذي ثميل وسنبيل

ولكن أرباب المخاض يشفهم اذا اقتفروه واحدا أو مشيعا

الايغاني ( ٢١٧/١٨ ) ، حماسة أبي تمام ( ٢٨/٢ ) .

٤ الشعراء الصعاليك ( ٢٣٧ ) .

٥ شرح أشعار الهذليين ( ٢٣٣/١ وما بعدها ) ، الشعراء الصعاليك ( ٤٨ ) .

بعيدة عن فهم ، ولا تبعد منازلها بعداً كبيراً أيضاً عن ديار هذيل<sup>١</sup> .

وكان بين ( صخر الغي ) الهللي و ( تأبط شرأ ) عداء شديد . وقد سمي ( الهللي ) ( تأبط شرأ ) ب ( ابن ترني ) ازدراء به . ونجد في الشعر الوارد في هجاء الشاعرين بعض لوناً طريفاً من ألوان هذا الصراع السني كان يقع بين الصعاليك<sup>٢</sup> ، وهو صراع أسبابه عديدة ، صراع متولد من عصبية قبلية ، أو من تنافس وتحاسد في الحرفة وعلى الرئاسة والزعامة والصيت والشهرة ، أو في طمع كل واحد منهم في الآخر للاستيلاء على ما حصل عليه من مال ليتعيش به .

وقد انتشر الصعاليك في كل موضع من جزيرة العرب ، ففي كل مكان منها جوع وقمر وصلعة ، حتى صاروا قوة مرعبة مخوفة ، لشدة بأسهم في القتال ، ولعرفتهم بالمسالك وبمنافذ الطرق وبمداخلها وبأسرار البوادي وخفايا النجاد والجبال ، فكانوا أن اتخذوا من الكهوف والمنحدرات والمسترات المشرفة على الأودية والطرق ، مواضع رصد واختفاء ، يراقبون منها حركات المارة ، فإذا وجدوهم دخلوا موضعاً صعباً ، يمكن حصرهم به ، انقضوا عليهم ، فأخذوا منهم ما يكون عندهم من متاع هذه الدنيا ، ثم هربوا بما غنموا الى مخابثهم حيث لا يصل اليهم أحد ، وإن وجدوا أن السابلة أقوى منهم وأشد بأساً ، اتخذوا من الفرار وسيلة للسلامة والنجاة ، فلا يلحقهم متعقب ، ولا يطمع أحد في إصابتهم بمكرهه ، وهم على علم واسع وخبرة عالية بمجاهل البوادي وبخبايا الأرض ، وهكذا يكونون في نأي عن التعقيب وفي منجاة من التعقب . ولما سدت السبل في وجه ( النعمان ابن المنذر ) بعد أن غضب كسرى عليه ، وأخذ ينتقل من مكان الى مكان ، لجأ الى ( هانيء بن قبيصة ) الشيباني ، فأجاره « وقال : لزمني ذمامك ، وإني مانعك مما أمنع نفسي وأهلي وإن ذلك مهلكي ومهلكك ، وعندني رأي لست أشير به لأدفعك عما تريد من مجاورتي ، ولكنه الصواب » ، فقال هانيء ، قال : إن كل أمر يجمل بالرجل أن يكون عليه ، إلا أن يكون بعد الملك سوقة . والموت نازل بكل أحد ، ولأن تموت كريماً خيراً من أن تتجرع الذل أو تبقي سوقة بعد الملك . امض الى صاحبك واحمل عليه هدايا ومالاً والتق نفسك بين يديه ،

١ شرح أشعار الهذليين ( ٢٣٣/١ وما بعدها ) .

٢ الشعراء الصعاليك ( ١٩٢ ) .

فلما أن يصفح عنك فعدت ملكاً عزيزاً ، واما أن يصيبك ، فالموت خبير من أن تلعب بك صعاليك العرب ويتمخطفك ذئابها<sup>١</sup> ، وفي نصيحة هانيء، للنعمان، وإشارته فيها الى ( صعاليك العرب ) دلالة على انتشارهم في كل مكان . وأنهم صاروا خطراً على الأمن ، يحسب له كل حساب .

ولما خلغ ( امرؤ القيس ) ، وصار ضليلاً خليفاً ، « جمع جمعاً من حير غيرهم من ذؤبان العرب وصعاليكها<sup>٢</sup> ، وأخذ يغير بهم على أحياء العرب ، ما كان ( امرؤ القيس ) ليجمع جمعهم ويحزبهم حزبه لو لم تكن في نفسه حاجة لهم ، فقد كانوا قوة ، وقد صاروا رعباً يخيف الناس ، كالذي كان في جبل (مة) من تكتل خليط من كنانة ومزينة والحكم والقارة والسودان ، من تكتلهم وأبهم وأخذهم من كان يمر بالغارة والنهب والسلب ، بقوا على ذلك أسداً ثائثين على مجتمعاتهم ، حتى ظهر الاسلام ، فكاتبهم الرسول ، وأمنهم أنهم ان آمنوا وأقاموا الصلاة ، وصدقوا ، « فعبدهم حر ، ومولاهم محمد ، ومن كان منهم من قبيلة لم يرد إليها ، وما كان فيهم من دم أصابوه أو مال أخلوه ، فهو لم ، وما كان لهم من دين في الناس رد اليهم ، ولا ظلم عليهم ولا عدوان<sup>٣</sup> . فهم قم متمردون ثائثون لا يعطون أحداً طاعة ، إلا طاعة أنفسهم والمترس فيهم . زلزل هذا هو الذي حدا بأهل النسب والأخبار أن يقولوا : « والخلفاء : بطن من بني عامر بن صعصعة ... كانوا لا يعطون أحداً طاعة<sup>٤</sup> .

وهكذا وضع ( الصعاليك ) أنفسهم في خدمة من يريد استخدامهم لتحقيق أهدافه التي يريدتها ، مقابل ترضيتهم وإعاشتهم ، كما يفعل الجنود المرتزقة هذا اليوم من خدمة الدول الأجنبية ، بانضمامهم الى الفرق الأجنبية ، كما هو الحال في ( فرنسا ) مثلاً لاستخدامهم في القتال .

وقد جعلت حياة التشرد والغارات والهروب والفرار الى مواضع بعيدة نائية وفي مجاهل البرادي ، الصعاليك من أعلم الناس بدروب جزيرة العرب ، وبالمواضع

- 
- ١ الاغانى ( ١٢٦/٢ ) ، الخزانة ( ١٨٥/١ ) وما بعدها ) .
  - ٢ الخزانة ( ٥٣٢/٣ ) ، ( جمع جمعاً من بني بكر بن وائل وغيرهم من صعاليك العرب ) ، معاهد التنصيص ( ٥/١ ) .
  - ٣ ابن سعد ، طبقات ( ٢٧٨/١ ) ، ( صادر ) .
  - ٤ تاج العروس ( ٣٢١/٥ ) .

الصعبة منها بصورة خاصة . وقد وصف ( السليك ) ، ( البعيد - الغارة ) بأنه « أدل من قطة » ، ونعت الصعاليك جميعاً بأنهم « أهلى من القطا »<sup>١</sup> ، واقتخر الصعاليكة أنفسهم بأنهم كانوا يعرفون عن خفايا البوادي والجبال ما لا يعرفه أحد غيرهم ، وبذلك كانوا يتنجون أنفسهم من تعقب المتحقيين لهم<sup>٢</sup> .

ونجد لشذاد العرب ، ذكراً في أخبار الغزو وفي أخبار الأخذ بالشار ، وفي أخبار من كان يريد الانتقام من أعدائه ، فلما غزا ( زيد الخيل ) الطائي ( بني عامر ) ومن جاورهم من قبائل العرب من قيس ، « جمع طيئاً وأحلاطاً لهم ، وجمعوا من شذاذ العرب »<sup>٣</sup> ولما غزا ( زهير بن جناب ) الكلبي ، بكرأ وتغلب أخذ « من تجمع له من شذاذ العرب والقبائل » وغيرهم فغزا بهم<sup>٤</sup> . وقد كان هؤلاء ( الشذاذ ) على استعداد لوضع أنفسهم في خدمة من يريد استخدامهم في مقابل أجر ، أو يتكفل بإعاشتهم ولرزاقهم ، أو من يرزقهم غنيمته من غارة يساهمون فيها ، فلما أراد ( أبو جندب ) الهنلي ، الأخذ بثأر جارين له قتلها ( بنو لحيان ) ، قدم مكة ، فأخذ جماعة من خلعاء بكر وخزاعة ، ( خرج بهم على بني لحيان ، وكان قد « قدم مكة ، فواعد كل خليج وفلك في الحرم أن يأتوه يوم كذا وكذا ، فيصيب بهم قومه » ، ليثأر لأخيه » .

وكانت مكة على ما يظهر من أخبار أهل الأخبار ، مكاناً أوى إليه ذؤبان العرب وخلصاءهم وصعاليكهم ، حتى كثر عددهم بها ، لما وجدوه فيها من حماية ومعونة ، وكان أحدهم إذا جاءها ، نادى قريشاً نداء النخوة لتؤويه وتجييره ، فيقوم أشرافها بحمايته وتقديم الجوار له . ومن هنا نجد الفتاك وأهل الغي والضلال يجوسون خلالها في أمن وسلام ، لحرمة المدينة ولحرمة حقوق الجوار ، ولعل المصالح الاقتصادية التي كانت تبنيها قريش من هذا الإيواء ، كانت السبب الأول في جعل سرانها يقدمون العون والجوار لأولئك الذؤبان الفتاك الذين كانوا لا يتورعون من الإقدام على أي عمل مهما كان شأنه خطيراً ، حتى إن كان فيه هلاكهم ،

١ الاغاني ( ١٣٤/١٨ ) ، المرزباني ( ٤٦٨ ) ، الشعراء الصعاليك ( ٥٤ ) .

٢ الاصمعيات ( ٣٥/١ ) .

٣ الاغاني ( ٥٢/١٦ ) .

٤ الاغاني ( ٩٦/٢١ ) .

٥ الاغاني ( ٦٢/٢١ ) وما بعدها ) ، شرح أشعار الهدليين ( ٨٣/١ ) وما بعدها ) .

أو جاء بالأذى على من أحسن اليهم وأجارهم ، فهم قوم أصابهم طيش وركبهم التمرد والحقد على المجتمع ، فهم لا يباليون بارتكاب أية موبقة ولو وقعت منهم في الحرم ، فقد كان في وسع تجار قريش تأمين تجارتهم بالإحسان الى هؤلاء الذين كان في استطاعتهم مهاجمة القوافل ونهب ما معها من أموال ، كما كان بإمكانهم استخدامها حراًساً يخرجون مع قوافلهم لحراستها من بقية الصعاليك الى وصولها الى الأماكن التي تريدونها ، كما كان في استطاعتهم الاستفادة من الفتاك في الفتك بمن يناسبهم العدا ، وفي القضاء على كل من يريد التحرش بقريشي أو بأموال قريش أو حلفائهم . وبذلك تمكنوا من حماية تجارتهم من الصعاليك ومن الأعراب الذين قد تمر تجارة قريش بهم ، وإن كانت قريش قد أمنت جانبهم أيضاً بعقد حبالها مع سادات القبائل بإيلاف عرف بـ ( إيلاف قريش ) في القرآن الكريم .

وكان ( البراض ) ، وهو ( رافع بن قيس ) وهو من الفتاك ، قد لجأ الى مكة ، فحالف ( بني سهم ) من قريش ، فعدا على رجل من هذيل فقتله ، فخلعه ( العاص بن وائل ) فأتى ( حرب بن أمية ) فحالفه ، فعدا على رجل من خزاعة فقتله وهرب الى اليمن ، فخلعه ( حرب ) ، فلما ضاقت به السبل ذهب الى الحيرة ، وطلب من النعمان أن يجير له ( لطيمته ) ، فقال له ( الرحال ابن عروة ) : « أنت تجبرها على أهل الشيخ والقيصوم ؟ وإنما أنت كلب خليع ! » فأعطاهما ( النعمان ) الى ( عروة ) ، فخرج ( البراض ) في أثره ، فلما انتهى الى ( أواره ) قتله وانتهب اللطيمة ، فكان بسببه حرب الفجار بين كنانة وقيس !

وبين الصعاليك قوم من ( الغربان ) ( غربان العرب ) ، وأغربة العرب سودانهم . شبهوا بالأغربة في لونهم ، وكلهم سرى اليهم السواد من أمهاتهم<sup>١</sup> . تصعلكوا لازدراء قومهم لهم ، ولانتقاص أهلهم لشأنهم ، وعدم اعتراف آباؤهم بينوتهم لهم ، لأنهم أبناء إماء . أو لفقدهم ، وظلم المجتمع لهم ، وعدم طبقة مملوكة ، هم والحيطان المملوك سواء بسواء . ليس لأحدهم جسمه ، ولا أهله ولا نسله ، وكل ما يملكه أو ما يحصل عليه يكون ملك سيده ، ومن خالف أمره منهم ، جاز لسيدته قتله ، ولسيدته حق الاستمتاع بمملوكته وبجواره من غير

١ المحبر ( ١٩٥ وما بعدها ) .

٢ تاج العروس ( ٤٠٩/١ ) ، ( غرب ) .

قيد ولا شرط . وهذا ما جعل بعض الرقيق يهرب من سيده ، فراراً من ظلمه ، لينضم الى الصعاليك، أو ليكون عصابة تلجأ الى الجبال والكهوف ، تهاجم المارة ، والأحياء ، لتحصل على ما تتعیش به . ولما ظهر أمر الرسول ، كتب لجماع كانوا في جبل تهامة قد غصبوا المارة، وهم خليط من كنانة ومزينة والحكم والقارة ، ومن قر من سادته من العبيد ، كتاباً ، فيه أنهم « إن آمنوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة ، فعبدهم حرّ ، ومولاهم محمد ، ومن كان منهم من قبيلة لم يردّ إليها ، وما كان فيهم من دم أصابوه أو مال أخذوه ، فهو لهم ، وما كان لهم من دين في الناس ردّ إليهم ، ولا ظلم عليهم ولا عدوان »<sup>١</sup> .

وأغربة العرب ، أو أغربة الصعاليك بتعبير أصدق ، كثيرون ، فقد كانت عادة اتصال العرب بالزنجيات منتشرة في الجاهلية ، وقد أولدت طبقة من الهجاء امتازت بسرعة العدو وبالشجاعة ، ويتحمل المشقات ، وكلها من مولدات الظروف . ولكن أشهر أغربة الصعاليك : السليك بن السلكة ، وتأبط شرأ . وقد جعل ( ابن قتيبة ) أغربة العرب ثلاثة : عنزة ، وخفاف بن عمير الشريدي ، والسليك بن عمير السعدي<sup>٢</sup> ، ولكن عددهم أكثر من ذلك بكثير ، يدخل فيهم الصعاليك وغيرهم .

أما الباقون ، فهم من شذاذ العرب ، ومن الخلاء المطرودين المنبوذين، الذين طردوا من أهلهم أو من عشيرتهم وقبيلتهم ، وحرموا من (العصبية) ، فلا أحد يسأل عنهم ، ولا أحد يسأل عن جرائمهم وأعمالهم ، فدمهم هدر ، ومسؤوليتهم على عاتقهم وحدهم . وهم من عشائر مختلفة ، فلا ينتسبون الى نسب واحد ، ونسبهم الوحيد الذي يربط بينهم ، هو الصعلكة ، والتمرد على المجتمع والتشرد في البوادي والمضاب والجبال ، ولهذا نجد الصعاليك من مختلف قبائل وعشائر جزيرة العرب ، قد يتكلمون في مجموعات تضم صعاليك قبيلة واحدة ، وقد يتكلمون في جماعات تتكون من صعاليك قبائل مختلفة . وتكون الألفة بين صعاليك القبيلة الواحدة أشد وأقوى من الألفة التي تكون بين صعاليك القبائل المختلفة ، لما يكون

١ ابن سعد ، طبقات ( ٢٧٨/١ ) ، « ذكر بعثة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، الرسل يكتبه الى الملوك يدعوهم الى الاسلام وما كتب به رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، لناس من العرب وغيرهم » .  
٢ الشعر والشعراء ( ١٧٢/١ ) ، ( دار الثقافة ) ، ( عنزة ) ، الاغانى ( ٢٤٠/٨ ) .

للسب والدم من أثر في نفوسهم ، وإن كفروا بعرف القبيلة وخرجوا على طاعتها .  
ونجد في شعر شعرائهم إشادة بأخوة ( الصنف ) و ( الحرقة ) تحمل محل اخوة  
العشيرة والقبيلة ، اذا مات أحدهم أو قتل ، حزنوا عليه ، وإن مرض عاجلوه ،  
وإن جاع قدموا له ما عندهم من طعام<sup>١</sup> .

وقد يستجير الخليج بمجير ، فيقبل جواره ، الى حين أو بغير أجل محدد ،  
أو على شروط ، ففي حديث خروج ( امرئ القيس ) مطالباً بدم أبيه ، أنه  
لجأ الى ( عامر بن جوين ) أحد الخلفاء الفتاك ، وعامر يومئذ خليج ، تبرأ  
قومه من جرائمه وتنصل أهله منه<sup>٢</sup> ، وفي حديث ( البراض بن قيس ) الكناني  
وكان خليعاً فاتكاً سكيراً ، لا يتزل بقوم ، إلا عمل منكراً فيهم - ، أنه لجأ  
الى بني ( الدليل ) ، فشرّب وجرت جريرة ، استوجبت خلعه فخلعوه ، فأتى  
مكة ، فنزل على حرب بن أمية ، فحالفه وأحسن جواره ، ثم شرب بمكة وأساء  
على عاداته ، حتى همّ حرب أن يخلعه<sup>٣</sup> ، وفي حديث ( أبي الطمحان ) القيني ،  
وكان خليعاً فاسقاً ، متهتكاً ، لا يعرف خلقاً ولا أدباً ، أنه نزل بمكة في جوار  
( الزبير بن عبد المطلب ) ، « وكان يتزل عليه الخلفاء »<sup>٤</sup> ، ونزل ( مطرود  
ابن كعب ) الخزاعي ، في جوار ( عبد المطلب ) ، فجاه وأحسن اليه ، وكان  
قد لجأ اليه بلخاية كانت منه<sup>٥</sup> ، ووجد ( قيس بن الحدادية ) من يؤويه ، مع  
أنه كان صعلوكاً خليعاً ، عجز هو وأهله عن دفع دية قتيل قتلوه ، فخلعته قبيلته  
خزاعة ، فنزل عند بطن من خزاعة ، يقال لهم : ( عدي بن عمرو بن خالد ) ،  
فأحسنوا اليه ، كما نزل في بحيلة على ( أسد بن كرز ) فأحسن اليه والى قومه<sup>٦</sup> .

ولا ينسى بعض الصعاليك ذكر من أحسن اليهم فأكرمهم ورعاهم وحماهم .  
هذا ( أبو الطمحان ) القيني ، يثني على من آووه وساعدوه حتى صبروه واحداً

- ١ الشعراء الصعاليك ( ٢٠٣ وما بعدها ) .
- ٢ الاغاني ( ٩٥/٩ ) ، الخزاعة ( ٢٤/١ ) .
- ٣ الاغاني ( ٧٥/١٩ ) .
- ٤ الشعر والشعراء ( ٣٠٤/١ ) ، الاصابة ( ٣٨١/١ ) ، ( رقم ٢٠١١ ) ، الاغاني  
( ١٢٥/١١ ) .
- ٥ المرزباني ، معجم ( ٢٨٢ ) .
- ٦ الاغاني ( ٢/١٣ وما بعدها ) .

منهم ، لا تتحرش به كلابهم ، لأنها عرفت ثيابه ، وتأكدت انه واحد منهم ، فلا تهر عليه<sup>١</sup> . وهذا ( حاجز ) الأزدي ، يفخر بانتسابه الى ( بني مخزوم ) من قريش ، وهم قوم لا يخذلون أحداً اذا استنصر بهم ، وجعل حلقه فيهم ، اذا أصاب حليفهم مكروه ، هرعوا اليه لنجدته ، فهم أهل النجدة والكرم<sup>٢</sup> . وهذا ( قيس بن الخدادية ) يفتي على ( آل عمرو بن خالد ) أحسن ثناء ، ويدعو الله أن يجزيهم خيراً لما فعلوا من حميد الفعال لصعلوك خليع<sup>٣</sup> .

والصعاليك كثيرون ، وقد خلدت أسماء جماعة منهم في كتب الأدب والأخبار ، أشهرهم وأبرزهم : ( عروة بن الورد ) ، و ( الشنفرى ) ، و ( تأبط شراً ) ، و ( السليك بن السليكة ) ، وآخرون .

والصعاليك بعد قصص في الكتب ، وقد بولغ في قصصهم لتؤثر في السامع ، ولتكون لذة للسامعين ومتمتعون بها أوائل الليل في أوقات سمرهم ، وقد رصعت بشعر ، على عادة العرب في رواية الأخبار . وفي بعض هذا القصص والشعر أثر الوضع المتعمد ، الذي صنع ليمثل الحالة الاجتماعية في ذلك الوقت ، حيث كان الأغنياء متخمين بالمال ، بينما جيرانهم يموتون جوعاً ، فكأن هذا القصص قد وضع ليتحدث عن ذلك الوضع . وقد عرف هذا القصص عند الغربيين كذلك ، حيث كان الغنى وكان الفقر ، فظهر الصعاليك ، وظهر قصصهم وبولغ فيه ، وما ( روبن هود ) الانكليزي الذي آثر التصعلك وغزو الأغنياء ، لإتفاق ما يحصل عليه على الفقراء لإعاشتهم ، إلا صورة من صور غارة ( عروة بن الورد ) وأمثاله من الصعاليك ، وقد دوت أخبارهم في قصص ، وصيغ بعض منها على صورة أشرطة ( سينائية ) عرضت ولا تزال تعرض في دور ( السينما ) وفي ( التلفزيون ) ، لما فيها من بطولة ومرورة ومساعدة ضعفاء واستهتار في الحياة .

- 
- ١ وقد عرفت كلابهم ثيابي كآني منهم ونسيت أهلي الحيوان ( ١ / ٣٨٠ ) ، الشعراء الصعاليك ( ٢٢٩ ) .
  - ٢ قومي سلامان اذا ما كنت سائلة وفي قريش كريم الحلف والنسب اني متى أدع مخزوما تبرى عنقا لا يرعشون لضرب القوم من كتب الاغانى ( ٤٩ / ١٢ ) .
  - ٣ الشعراء الصعاليك ( ٢٢٩ ) .

وأما ( عروة بن الورد ) ، فهو من ( عبس ) وكان شاعراً فارساً وصعلوكاً مقدماً ، عرف بـ ( عروة الصعاليك ) « لأنه كان يجمع الفقراء في حظيرة فيرزقهم مما يغمه »<sup>١</sup> . وهو شاعر بدوي قح ، وكان أبوه ممن كان له ذكر في حرب داحس والغبراء ، وقد مدحه ( عنتره ) ، وكانت أمه من ( نهد ) ، ولم تكن من أهل البيوتات . وكان لشعره أثر في قومه : حتى كانوا يرون أنه أشعر الشعراء<sup>٢</sup> .

وذكر أنه إنما لقب بعروة الصعاليك لقوله :

لحي الله صعلوكاً إذا جن ليله      مُصافى المشاش ألفاً كل مجزر  
يعد الغنى من دهره كل ليلة      أصاب قراها من صديق ميسر  
ينام عشاءً ثم يصبح قاعداً      يحث الحصى عن جنبه المتعفر  
ولله صعلوك صفيحة وجهه      كضوء شهاب القابس المنور  
مطلّ على أعدائه يزجرونه      بساحتهم زجر المنيح المشهر<sup>٣</sup>

ويظهر من شعر لعروة ، انه كان نحيلاً ، شاحب الوجه هزيلاً ، فكانوا يعيرونه بذلك ، وكان يجيبهم بقوله :

لاني امرؤٌ عافى انائي شركة      وأنت امرؤٌ عافى إنائك واحد  
أهزأ مني ان سمئت وان ترى      بجسمي شحوب الحق، والحق جاهد  
أفرق جسمي في جسوم كثيرة      وأحسوا قراح الماء ، والماء بارد<sup>٤</sup>

فهو نحيف نحيل شاحب الوجه ، لأنه يشرك الآخرين معه في أكله وشربه ،

- ١ تابع العروس ( ١٥٣/٧ ) ، ( صعلك ) .
- ٢ الاغاني ( ١٨٤/٢ ) وما بعدها ( دار الكتب ) ، الخزائن ( ١٩٤/٤ ) بروكلمن ، ( ١٠٩/١ ) وما بعدها .
- ٣ الشعر والشعراء ( ٥٦٦/٢ ) ، ( الثقافة ) ، من قصيدة مطلعها :  
أقل علي اللوم يا بنت مننر      ونامي ، وان لم تشتهي النوم ، فاسهري  
ديوان عروة بن الورد ( ٦٦ وما بعدها ) ، ( اخراج عبد المعين الملوحي ) ، ( وزارة الثقافة والارشاد . الجمهورية العربية السورية ) ، الاغاني ( ٩٧/١٦ ) وما بعدها .
- ٤ ديوان عروة ( ٢ ) ، الاغاني ( ٧٢/٣ ) وما بعدها ، الجمان في تشبيهات القران ( ٢٥٧ ) .

أما الهزء به ، فهو أناني ، لا يشرك أحداً معه في أكله ، وإناؤه واحد ، لا يأكل به أحد غيره ، ولذلك سمن وثخن من التخمه ، أما هو ، وهو الوهاب فكان يقتر على نفسه ، ويجوع ، ليأكل غيره أكله ، فأصابه من ثم هذا الهزال . فهو انسان ، يقسم ما عنده وما يأتيه على نفسه وعلى غيره ، وقد يقدم غيره على نفسه . ومن هنا « كان يقال : من قال إن حاتمأ أصبح العرب ، فقد ظلم عروة ابن الورد »<sup>١</sup> .

ويذكرون أنه أصاب في بعض غاراته امرأة من كنانة ، فاتخذها لنفسه ، فأولدها ، فلقبه قومها ، وقالوا : فادنا بصاحبتنا ، فإننا نكره أن تكون سبية عندك . قال : على شريطة ، قالوا : وما هي ؟ قال ! على أن نخبرها بعد الغداء ، فإن اختارت أهلها أقامت فيهم ، وإن اختارتني خرجت بها . وكان يرى أنها لا تختار عليه ، فأجابوه الى ذلك ، وفادوا بها ، فلما خيروها اختارت قومها ، وتركته فنظم في ذلك شعراً<sup>٢</sup> .

وذكر أن ( معاوية ) تذكر ( عروة بن الورد ) ، فقال : « لو كان لعروة ابن الورد ولدٌ لأحببت أن أتزوج منهم » . وان ( عبد الملك بن مروان ) تذكره يوماً ، فقال : « ما يسرني أن أحداً من العرب ممن ولدني لم يلدني إلا عروة بن الورد لقوله :

واني امرؤ ، عافى إنائي شركة<sup>٣</sup> وأنت امرؤ عافى إنائك واحد<sup>٣</sup>

وهو بيت يمثل خلق هذا الشاعر ومروؤته التي أبت عليه إلا أن يشرك غيره من الضعفاء والمحتاجين فيما يحصل عليه ويناله من المتمكنين بالإكراه والقوة . إنناؤه مليء لبناً ، حتى يفيض ويكثر ، فإن طرقة إنسان وجد اللبن أمامه ، يشرب منه وهو شريكه فيه ، شريكه في كل شيء عنده قل أو كثر ، وهو يفخر بذلك ويتبجح بإشراكه غيره إنناؤه على من حرص على ماله ، وبخل بما عنده ، مثل ( قيس بن زهير ) ، الذي استأثر بما عنده ، فلم يعط لمحتاج شيئاً منه . فصار

- ١ الروض الانف ( ١٨٠/٢ ) .
- ٢ الشعر والشعراء ( ٥٦٧/٢ ) .
- ٣ ديوان عروة ( ٢ ) ، الاغانى ( ٧٢/٣ ) وما بعدها .

يسمن وغيره يجوع ، على حين كان ( عروة ) يختار الجوع ، ليأكل الجياح ،  
لتعود اليهم القوة والحياة ، ولا يبالي هو بنفسه إن جاع ، وفي ذلك يقول :

لاني امرؤ عافى لئائيّ شركةً وأنت امرؤٌ عافى إنائك واحد  
أهزأ مني إن سمئت وأن ترى بوجهي شحوب الحق، والحق جاهد  
أقسم جسيمي في جسم كثيرةٍ وأحسو قراح الماء ، والماء بارد

وكان قد قال هذه الأبيات رداً على أبيات ( قيس بن زهير ) التي خاطب  
بها ( عروة ) بقوله :

أذنب علينا شتم عروة خاله بغرة أحساء ويوماً يبديد  
رأيتك ألقاً بيوت معاشر تزال يد في فضل قعب ومرفداً

وللأنخض حديث عن مروءة ( عروة ) وعن إنسانيته فيقول : « عن ثعلب  
عن ابن الأعرابي ، قال : حدثني أبو فقعمس ، قال : كان عروة إذا أصابت  
الناس سنة شديدة تركوا في دارهم المريض والكبير والضعيف ؛ وكان عروة  
يجمع أشباه هؤلاء من دون الناس ، من عشيرته في الشدة ، ثم يخفر لهم الأسراب ،  
ويكتف عليهم الكنف ، ويكسيهم ، ومن قويّ منهم ، إما مريض يبرأ من  
مرضه ، أو ضعيف تثوب قوته ، خرج به معه فأغار ، وجعل لأصحابه الباقيين  
في ذلك نصيباً ، حتى إذا أخصب الناس وألبنوا ، وذهبت السنة ، ألحق كل  
إنسان بأهله ، وقسم له نصيبه من غنيمته إن كانوا غنموها ، وربما أتى الإنسان  
منهم أهله وقد استغنى ، فلذلك سمي : عروة الصعاليك »<sup>٢</sup> .

ومن هنا عدّ من أصحاب الكرم والسخاء . حتى قيل إن عبد الملك  
قال : « من زعم أن حاتمًا أسمح الناس ، فقد ظلم عروة بن الورد »<sup>٣</sup> . وقيل  
إنه بلغه عن رجل من بني ( كنانة بن خزيمية ) ، أنه من أبخل الناس وأكثرهم  
مالاً ، فبعث عليه عيوناً ، فأتوه ببحيره فشدّ على إبله فاستاقها ثم قسمها في

١ ديوان عروة ( ٥١ وما بعدها ) .  
٢ ديوانه ( ٨ وما بعدها ) ، الاغانى ( ٧٨/٣ وما بعدها ) ، التبريزي ، شرح حماسة  
أبي تمام ( ٩/٢ ) ، جبهة أشعار العرب ( ١١٤ وما بعدها ) .  
٣ ديوان عروة ( ٣ ) ، الاغانى ( ٧٤/٣ ) .

قومه . فقال عند ذلك :

ما بالثراء يسود كل مسودٍ مثرٍ ، ولكن بالفعال يسودُ  
بل لا أكأثر صاحبي في يسره وأصمد إذ في عيشه تصريد  
فإذا غنيتُ ، فإن جاري نيله من نائلي ، وميسري معهود  
وإذا افتقرت ، فلن أرى متخشعاً لأخي غني ، معروفه مكدوداً

فالسيد بفعاله ، وأعماله لا بالمال . وهو يقول في شعر له ، ان فراشه فراش  
الضيف ، وأن بيته بيت للضيوف ، يجالس الضيف ويجادته ، فالحديث جزء من  
القرى :

فراشي فراش الضيف والبيت بيته ولم يلهني عنه غزال مقنع  
أحدثه ، إن الحديث من القرى وتعلم نفسي أنه سوف يهجع

وفي خبر آخر ، ان سنين شديدة أصابت الناس ، فأهلكتهم ، وترك الناس  
الغزو لجدوبة الأرض ، وكان عروة في تلك السنين غائباً ، فرجع مخفياً ، قد  
ذهبت إليه ونخيله ، وجاء ( الكنيف ) ، أي الحظيرة والمأوى ، فوجد أصحابه  
وقد سقطوا من الإعياء والشدة ، فنذب منهم رهطاً ، فنحر لهم بعيراً ، وحلوا  
سلاحهم على بعير آخر ، وقدد لهم بعيراً ، فوزعه بينهم . وخرج بهم غازياً  
يلتمس الرزق . وهو يقول لهم : ان أصبنا رغبة فلذلك الذي نريد ، وإن رجعنا  
خائنين ، كنا معذورين . قد أدينا ما علينا ، ولن نقعد عن الطلب . فهو يحثهم  
على الرزق والطلب ، دون تفكير في نجاح أو فشل ، فالحياة : نجاح وفشل ،  
ومن فشل ، عليه المواظبة حتى ينجح ويستعيد قواه ، وذلك قوله :

قلت لقومٍ في الكنيف : تروحوا عشية بتنا عند ما وان رزح<sup>٢</sup>

الى آخر الأبيات .

وهو يصف في أبيات حالة الفقير وما يلقي من ظلم ، وحالة الغني وما يلقاه

١ ديوان عروة (٤٨) ، شرح ديوان عروة (١٨١) .  
٢ ديوانه (٢٠ ، ٣٩ وما بعدها) .

من إجلال . فيقول :

دعيني للغنى أسمى فلإني رأيت الناس شرتهم الفقير  
وأبعدهم وأهونهم عليهم وإن أسمى له حسبٌ وخير  
ويقصيه الندي وتزدرية حليلته وينهره الصغير  
ويلقى ذو الغنى وله جلال يكاد فؤاد صاحبه يطيراً

وله شعر يبحث فيه الناس على السير في البلاد ، الهامساً للرزق ، لأن من لم يطلب  
معاشاً لنفسه ، وقعد في داره دون أن يعمل شكا الفقر ، وصار كلاً على غيره ،  
حتى على ذوي قريابه ، فيقول :

إذا المرء لم يطلب معاشاً لنفسه شكا الفقر، أو لام الصديق فأكثر  
وصار على الأدين كلاً، وأوشكت صلوات القربى له أن تنكرا  
وما طالب الحاجات، من كل جهة من الناس إلا من أجدّ وشمرا  
فسر في بلاد الله، والتمس الغنى قعش ذا يسار أو تموت فتعذرا<sup>٢</sup>

ومن شعره في المال والورثة قوله :

متى ما يجيء يوماً الى المال وارثي يجد جمع كف غير ملأى ولا صفر  
يجد فرساً مثل القناة وصارماً حساماً إذا ما هز لم يرض بالهبر<sup>٣</sup>

ويقول في شعر آخر :

أليس وراثي ان أدب على العصا فيأمن أعدائي ويسأني أهلي  
رهينة قعر البيت كل عشيّة يطيف بي الولدان أهوج كالرأل

يعني : أليس وراثي إن سألت الناس ، وتركت مخاطر التصمك، أن يلحقني  
الكبر فأهون ويضجر مني أهلي<sup>٤</sup> . فهو يعتذر بذلك عن التصمك واتخاذ الصعلكة  
حرقه له .

- ١ ديوانه ( ٩١ وما بعدها ) ، البيان والتبيين ( ٢٣٤/١ ) ، وقد روي برواية تختلف  
عن رواية الديوان .
- ٢ ديوانه ( ٨٩ ) .
- ٣ كتاب العصا ( ٢٠٦ ) ، ( نودار المخطوطات ، المجموعة الثانية ) .
- ٤ الحيوان ( ٣٥٦/٤ ) .

وقد زعم ان ( عبدالله بن جعفر بن أبي طالب ) ، « قال لمسلم ولده :  
لا تُروهم قصبدة عروة التي يقول فيها :

دعيني للغنى أسعى فإنني رأيت الناس شرهمُ الفقير

ويقول : هذا يدعوهم الى الاغتراب عن أوطانهم « ١ .

وهو يرى ان الموت خير للفتى من حياته فقيراً . وان الأقارب اذا ضنوا عليه  
ولم يساعده ، فعليه بالرحيل عنهم ، والناس الفجاج ، فإنها عريضة ، اذا ضاقت  
عليه السبل . وهو لا يترك اخوانه أبداً ما عاش ، كما ان الانسان لا يتمكن من  
ترك شرب الماء :

إذا المرء لم يبعث سوا ما ولم يرح عليه ، ولم تعطف عليه أقاربه  
فلموت خير للفتى من حياته فقيراً ، ومن مولى تدب عقاربه  
وسائلة : أين الرحيل ؟ وسائل ومن يسأل الصلوك : أين مذهب  
مذهبه أن الفجاج عريضة إذا ضن عنه ، بالفعال ، أقاربه  
فلا أترك الإخوان ما عشت للردى كما أنه لا يترك الماء شاربهُ

وهو بحث على المخاطرة بالنفس ، فإن القعود مع العيال قبيح ، حثّ عليها  
في أبيات نسبت اليه ، وقيل انها ليست له ، بل هي للنمر بن تولب ، هذا نصها :

قالت تماضر ، إذ رأت مالي خوى وجفا الأقارب ، فالفؤادُ قريح  
مالي رأيتك في الندي منكباً وصبا ، كأنك في الندي نطيج  
خاطر بنفسك كي تصيب غنيمة ان القعود مع العيال قبيح  
المال فيه مهابةٌ وتجلّةٌ والفرق فيه مذلة وفضوح

والصلوك الخامل ، القعود الذي يعين نساء الحي ، ولا يستعمل سيفه للحصول  
على رزقه ، هو خليق أن يكون ممن بهان ويزهدى ، والصلوك العامل النشط ،

- 
- ١ ديوانه (٣) .
  - ٢ ديوانه (٢٩) .
  - ٣ ديوانه (٤٣) .

هو الرجل الذي يستحق الحياة ، ويصلح أن يكون انموذجاً للرجال ، صحيفة وجهه كضوء شهاب القابض المتنور ، مطلقاً على أعدائه ، يهابونه ولا يستطيعون الاقتراب منه ، ان لقي منيته لقيها حميداً ، وان عاش واستغنى فتعمة كبرى ، يتفق منها على من يحتاج اليه من الناس<sup>١</sup> .

وتراه يقول في آيات أخرى :

إذا آذاك مالك ، فامتته لجاديه ، وإن قرعَ المراحُ  
وإن أخنى عليك ، فلم تجده فنبت الأرضِ والماء القراحُ  
فرغم العيش لُفُ فناء قومٍ وإن آسوك ، والموت الرواحُ

ومعناها : لا تبخل بمالك ، ولا تحرص عليه ، أعط منه السائل والمحروم والمحتاج ، ولا تخش الفقر ، فإن أخنى عليك ، وقل مالك ، وتركك الأصحاب فلا تياس ولا تمنع لأحد ، ولا تجزع ، ففي الأرض رزق لكل أحد ، وتمتع لكل نفس ، وإن كان ذلك نبات الأرض وماؤها ، ولا تن قسك ، وتذل كرامتك ، فتعيش على موائد غيرك ، من اللؤماء الخقراء ، فأكلك منهم ، هو الموت الرواح ، بل هو شر من الموت . فلا تقرب موائد أصحاب المنة ، وإن آسوك وساعدوك ، فؤاساتهم كاذبة ، عن مظاهر وتفاق .

وفي آيات شعر ، يذكر ( عروة ) ( أصحاب الكنيف ) والتواهم عليه ، وكيف تمردوا عليه ، مع فضله عليهم ، وإشراكه لهم في كل ما كان يكسبه ويفنمه ، فيقول :

ألا إن أصحاب الكنيف وجدتهم كما الناس لما أخصبوا وتمولوا  
ولاني لمدفوعٌ إليّ ولاؤهم بماوان إذ نمشي ، وإذ نتمل  
وإذ ما يريح الحيّ هرماء جونة<sup>٢</sup> ينوس عليها رحلها ما يحلل  
موقعة الصفيقين ، حلباء ، شارف تقيد أحياناً ، لديهم وترحل  
عليها من الولدان ما قد رأيتم وتمشي بجنيها أرامل عيل

١ ديوان عروة ( ٧٨ وما بعدها ) .  
٢ ديوانه ( ٤٢ ) .

وقلت لها يا أم بيضاء ، فنية<sup>١</sup> طعامهم ، من القلور ، المعحر  
 مضيق من اليب المسان ، ومُسَخَّن من الماء نعلوه بأخر من عل<sup>٢</sup>  
 بديمومة ما إن تكاد ترى بها من الظم ، الكوم الجلاذ تنول  
 تنكر آيات البلاد لمالك وأيقن أن لاشيء فيها يُقول<sup>١</sup>

وهي آيات ، تعبر عن مرارة نفسه ، وعن ألمه مما لاقاه من أصحاب الكنيف ،  
 مع افضاله عليهم ، وتقديمه لهم على نفسه ، وهو يواسي نفسه فيها ، فيقول أنهم  
 ناس ، ومن شأن الناس أنهم اذا انحبوا وتمولوا وتحسنت أحوالهم ، تنكروا لمن  
 كان صاحب الفضل عليهم ، وتجاهلوا كل ما قام به من صنع حسن نحوهم .  
 أخرجتهم وأجسامهم هزال من شدة الجهد ، لا يقدرن على المشي من شدة  
 الضعف والجوع ، وقت بأمرهم ، حتى اذا قروا ، ودنوا من بلادهم وعشائهم ،  
 وأقبلت أقسم فيهم ما غنمته من إبل ، فأعطيتهم بالتساوي ، وأخذت لنفسي  
 نصيب أحدهم ، تنكروا لي وصاروا كالأبعاد ، ليس لهم شكر ، خاصموه وعارضوه .  
 وكان من شأنهم : انه خرج مع صعاليكه يبحثون عن غنائم ، حتى نزل أرض  
 ( بني القين ) ، فأقام مع أصحابه يوماً عند موضع ماء ، بانتظار مجيء الرعاة  
 لاسقاء إبلهم ، ثم ورد عليهم فصيل ، فقالوا : دعنا فلنأخذ ، فلناكل منه يوماً  
 أو يومين ، فقال : إنكم إذن تنفرون أهله ، وان بعده إبلًا . فتركوه ثم قدموا  
 على تركه ، وجعلوا يلومون عروة على الجوع الذي جهدهم . ثم وردت لإبل  
 بعده بخمس ، فيها ظعينة ورجل ، والإبل مائة ، فخرج ( عروة ) ورمى صاحبها  
 في ظهره بسهم ، فخرت ميتاً ، واستاق عروة الإبل والظعينة<sup>٢</sup> . وأتى بالإبل  
 الكنيف فجعل يحملها لهم ، ثم حملهم حتى اذا دنوا من بلادهم وعشائهم ، أقبل  
 يقسمها فيهم ، وأخذ مثل نصيب أحدهم ، واستخلص المرأة لنفسه ، فقالوا :  
 لا والله لا نرضى حتى تجعل المرأة نصيباً فمن شاء أخذها من سهمه ، فجعل  
 عروة بهم أن يحمل عليهم فيقتلهم وينزع ما معهم ، ثم يتذكر صنيعه بهم ،  
 وأنه إن فعل ذلك أفسد ما كان صنع ، ففكر طويلاً ثم أجابهم الى أن يرد  
 عليهم الإبل إلا راحلة يحمل عليها امرأته ، فأبوا إلا أن يجعلوا الراحلة لهم ،

١ ديوانه ( ١١٩ وما بعدها ) .  
 ٢ ديوانه ( ١١٣ وما بعدها ) .

فانتدب رجل منهم فجعل الراحلة من نصيبه وأقرها عروة، أي منحها إياه منيحة إذا استغنى عنها ردّها ؛ فقال عروة يذكر أصحاب الكنيف والتواهم عليه تلك الأبيات المتقدمة<sup>١</sup> .

فهو في الأبيات المتقدمة يذكر أن الإنسان ذليل كسير ما دام فقيراً ، يتقرب الى القوي ويتصبص له ، ويتظاهر بحبه واخلاصه له ، فإذا نال حاجته ، أو اغتنى تبطر على من كان محتاجاً اليه ، وتعاضم عليه ، ونال منه .

وقد عرف ( عروة ) بـ ( أبي الصعاليك ) ، قيل ان الناس كانوا اذا أصابتهم السنة أتوه « فجلسوا أمام بيته حتى اذا بصروا به صرخوا وقالوا : يا أبا الصعاليك ، أغثنا » . فيخرج ليغزو بهم<sup>٢</sup> . وقد كان يعدّ صعاليكه (عباله)<sup>٣</sup> ، وكان يرعاهم ويحذب عليهم حذب الوالد على عباله ، ويخرج بالقوي منهم للغزو ، بحثاً عن غنيمة يناها لإشباع أتباعه الجياع الصعاليك، مال غني جمع غناه بالعقوق وبالبلخل ، لأنه لا يرضى أن يرى اخواناً له يهلكون من الجوع ، ثم لا يجد ما يقدمه لهم لسد رمقهم<sup>٤</sup> ، وهو يطوف لذلك في البلاد باحثاً عن غنى يفتق منه على المعوزين وذوي الحاجات . وشر الناس في هذه الدنيا الفقير ، يباعده القريب لفقره ، وتردريه حليلته ، ولا يحترمه أحد ؛ بينما يعظم الغني ويحترم ، لا لسبب إلا لماله ولغناه ، ذنبه قليل في نظر الناس ، لأنه غني ، وللغني رب غفور :

ذريني للغني أسعى ، فلاني رأيت الناس شرهم الفقير  
وأدناهم ، وأهونهم عليهم وإن أمسى له حسب وخير  
يباعده القريب ، وتردريه حليلته ، ويقهره الصغير  
ويلقي ذو الغنى ، وله جلال يكادُ فؤاد لاقيه يطير  
قليل ذنبه ، والذنب جم ولكن للغني رب غفور<sup>٥</sup>

١ ديوانه (١١٨) ، الاغاني (٧٩/٣) وما بعدها ) .

٢ الاغاني (٨١/٣) .

٣ ديوان عروة (٩٩) ، حماسة أبي تمام (٧/٢) ، الشعراء الصعاليك (٣٢٢) .

٤ أيهلك معتم وزيد ولم أقم على ندب يوما ولي نفس مخطر

ديوان عروة (٨٣) ، الشعراء الصعاليك (٣٢٥) .

٥ العقد الفريد (٢٩/٣) ، عيون الاخبار (٢٤١/١) وما بعدها ، البخلاء (١٨٣) ،

(٣٩١) ، البيان والتبيين (٢٣٤/١) ، وتختلفه نصوص هذه القصيدة باختلاف

الموارد .

وفي قصيدته :

لما الله صلوكاً اذا جن ليله  
بعد الغنى من دهره كل ليلة  
ينام عشاءً ثم يصبح طاوياً  
قليل التماس الزاد إلا لنفسه  
يعين نساء الحمي ما يستعنه  
ولكن صلوكاً صحيفة وجهه  
مُطلاً على أعدائه يزجرونه  
فإن بَعُدوا لا يأمنون اقترابه  
فذلك إن يلق المنيّة يلقها

مصافي المشاش آلفاً كل مجزر  
أصاب قراها من صديق ميسر  
يحب الحصى عن جنبه المتعفر  
إذا هو أمسى كالعريش المجور  
فيمسي طليحاً كالبعير المحسر  
كضوء شهاب القباس المنور  
بساحتهم زجر المنيح المشهر  
تشوف أهل الغائب المنتظر  
حميداً وان يستغن يوماً فأجدراً

«مان سامية ، تعبر عن نفسية انسانية ، وعن عطف على الفقير والمحتاج والنساء  
« وصف فيها فضيلة الفقير الحر الباسل وذم الذي يستأجر شغله » ٢ .

وفي شعر (عروة) اشارة الى الموت ، فهو يرى ان الحياة أجل ، وان الانسان  
غير خالد في هذه الدنيا ، حياته قصيرة ، ثم يكون أحاديث للناس . اذا جاء  
أجله خرجت منه هامة تعلقو كل نشز :

أحاديث تبقى، والفتى غير خالد  
اذا هو أمسى هامة فوق صيّر  
تجاوب أحجار الكناس ، وتشتكي  
الى كل معروف رأته ، ومنكر

ثم تجاوب هذه الهامة أحجار الكناس، وتشتكي الى كل معروف تراه ومنكر .  
أي تصوت في كل حال اذا رأت من تعرف ومن تنكر ٣ .

والموت ملازم للانسان ، وهو ثغر كل ثنية ، ولا مفر منه :

وأن المنايا ثغر كل ثنية  
فهل ذاك، عما يبتغي القوم محصر  
وغيره مخشى رداها مخوفة  
أخوها ، بأسباب المنايا مفرر

- ١ الخزانة (١٩٦/٤) ، ( بولاق ) .
- ٢ كارلو نالينو (٧٩) .
- ٣ ديوانه (٦٦ وما بعدها) .
- ٤ ديوانه (٧٧) .

وقد نسبت له قصيده مطلعها :

لما الله صعلوكاً مناه وهمه من الدهر أن يلقي لبوساً ومطعماً  
ينام الضحى حتى إذا الليل جنه تبيت مسلوب القواد مورماً  
ولكنّ صعلوكاً يساور همته ويمضي على الهيجاء ليثاً مصمماً  
فذلك أن يلقي الكريهة يلقيها حميداً وان يستغن يوماً فربما

وقد ذهب بعضهم الى أن هذه القصيدة لحاتم الطائي ، لأن قصيدة عروة  
رائية ، وليست هذه ، ولحاتم قصيدة على هذا الروي ، وليس فيها هذه الأبيات ،  
وفيهما ما يشبهها ، وهو :

وليل بهم قد تسربت هولته إذا الليل بالنكس الضعيف تجمها  
ولن يكسب الصعلوك مالا ولا غنى إذا هو لم يركب من الأمر معظماً  
يرى الحمص تعذيباً وان يلق شعبة بيت قلبه من قلعة المهمّ مبهماً  
ولكن صعلوكاً يساور همته ويمضي على الأيام والدهر مقمماً  
يرى رعمه ونبله ومجنه وذا شطب بين المهدة مخلماً  
واحناء سرج قاتر ولبامه معداً لدى الهيجاء طرفاً مسوماً  
فذلك ان يهلك فحسنى ثناؤه وان يجي لا يقعد ضعيفاً ملوماً

وفي كتاب ( ذيل الأمالي والنوادر ) للقالبي ، أبيات على هذا النمط غير معزوة  
لقائلها ، أوردها على أثر تحدّثه عن ( الشيطان بن الحارث الغساني ) ، وكان قد  
قتل رجلاً من قومه ، فخافهم ، فلحق بالحيرة متنكراً ، وكان من أهل بيت  
الملك ، فكان يتكفّف الناس نهاره ويأوي الى خربة من خراب الحيرة ، فيبينا هو  
ذات يوم في تطوافه إذ سمع قائلاً يقول :

لما الله صعلوكاً اذا نال مدقة توسد إحدى ساعديه فهو ما  
مقيماً بدار الهون غير مُناكرٍ اذا ضمّ أغضى جفنه ثم برشما  
يلوذ بأخزاء المثاريب طامعاً يرى المنع والتعبيس من حيث يما  
يضمّن بنفسٍ كدر البؤس عيشها وجودٌ بها لو صانها كان أحزماً

١ الخزّانة ( ١٩٤/٤ وما بعدها ) .

فذاك الذي إن عاش عاش بذلة وإن مات لم يشهد له الناس ماتاً  
بأرضك فأعرك جلد جنبك اني رأيت غريب القوم لحماً موضعاً  
فهي آيات في المعاني المتقدمة ، لم يعرف اسم صاحبها<sup>١</sup> .

وهو يزجر امرأته سلمى لأنها تلومه على غاراته وغزواته ، لما تخشاه عليه من  
الوقوع في المهالك ، ومن ملاقاته حتفه . ويقول لها : إنه إنما يجازف ويخاطر  
في سبيلها ، حتى يغنيها فلا تذل بعده أو تستجدي أحداً ، ثم ان عليه حق الوفاء  
لأقاربه وللضعفاء وللإخوانه الصعاليك الذين يلوذون به ، فعليه مساعدتهم ، وهو  
لا يتمكن من تقديم المساعدات لهم ، إلا بهله الغارات<sup>٢</sup> .

وروي أن ( عروة ) كان يتردد على ( بني النضير ) فيستقرضهم إذا احتاج  
ويبيع منهم إذا غم ، فأروا عنده ( سلمى ) فأعجبتهن ، فسألوه أن يبيعهن منهم  
فأبى ، فسقوه الخمر واحتالوا عليه حتى ابتاعوها منه وأشهدوا عليه ، وفي ذلك  
يقول :

سقوني الخمر ثم تكنفوني عداة الله من كذب وزور

وروي أيضاً أن قومها افتدوها منه وكان يظن أنها لا تختار عليه أحداً ولا  
تفارقه ، فاختارت قومها فندم وكان له بنون منها ، ثم تزوجها بعلمه رجل من  
في النضير . وفيها يقول عروة :

أرقت وصحيتي بمضيق عمق لبرق في تهامة مستطير

وهي قصيدة أشار فيها الى ( سلمى ) ، ومفارقتها له ، عند ( بني النضير ) ،  
حيث يقول :

وآخر معهد من أم وهب معرسنا فوق بني النضير

وفي هذه القصيدة البيت المتقدم ، الذي يشير الى أنهم سقوه الخمر ، واحتالوا  
عليه ، حتى ابتاعوها منه<sup>٣</sup> .

- ١ ذيل الامالي (١٧٩) ، الخزائن (١٩٥/٤) .
- ٢ الاصمعيات (٣٥) .
- ٣ الروض الانف (١٨٠/٢) وما بعدها .

وقد أشار ( عروة ) في شعر ينسب إليه الى ( التعشير ) ، وهو أن ينهق  
الانسان عشر مرات اذا أراد دخول ( خير ) لكي لا تصيبه الحمى . فقال :

وقالوا: أحبُّ وانهقُ، لا تضيرك خبيرٌ وذلك من دين اليهود ولوع  
لعمري، لئن عشت، من خشية الردى نهاقَ الحمير اني لجزوع<sup>١</sup>

وقد رفض عروة ذلك ، وسخر من هذه الخرافة .

قال ( الجاحظ ) : « وكانوا اذا دخل أحدهم قرية خاف من جنّ أهلها،  
ومن وباء الحاضرة ، أشد الخوف ، إلا أن يقف على باب القرية فيعشر كما يعشر  
الحمار في نهيقه ، ويعلق عليه كعب أرنب . ولذلك قال قائلهم :

ولا ينفع التعشير في جنب جرمة ولا ددع يغني ولا كعب أرنب ،

« وقد قال عروة بن الورد ، في التعشير ، حين دخل المدينة فقيل له : إن  
لم تعشر هلكت :

لعمري لئن عشتُ من خيفة الردى نهاقُ الحمير اني لجزوع<sup>٢</sup> ،

ولعروة شعر في يوم ( ساحوق ) ، وهو يوم لبني ذبيان على ( بني عامر ) ،  
إذ يقول :

ونحن صبحنا عامراً في ديارها      علالة أرماع وعضباً مُدكراً  
بكل رقيق الشفرتين مهندي      ولدن من الخطي قد طرّ أعمرا  
عجبت لهم إذ يخنقون نفوسهم      ومقتلهم عند الوغى كان أغدرا  
يشدّ الحليمُ منهم عقْدَ حبله      ألا إنما يأتي الذي كان حُدّرا

أي أنهم كانوا ذوي غدر بين ، لو أنهم جاهدوا في الحرب وقتلوا ، أما الآن  
فلا عنر لهم بين الرجال في خنقهم أنفسهم . وكان ( الحكم بن الطفيل ) وأصحابه  
قد خنقوا أنفسهم ، بشد الحبل حول العنق<sup>٣</sup> ، وذلك تحت شجرة بالمروراة ،

١ ديوانه (٩٥) ، الحيوان (٣٥٩/٦) .

٢ الحيوان (٣٥٩/٦) .

٣ الحيوان (٢٧٣/٢) ، الخزانة (٢١٨/٤) ، العقد الفريد (٣١٨/٢) .

خشية الوقوع في الأسر . و (الحكم بن الطفيل) هو أخو (عامر بن الطفيل) ،  
وقد عرف يوم (المروارة) بيوم (التخايق) <sup>١</sup> .

وقد عدت قصيدته التي تبدأ بـ :

أقلى عليّ اللوم يا ابنة منذر ونامي فإن لم تشتهي النوم فاسهري

من القصائد (المنتقيات) <sup>٢</sup> .

وأما شعر (عروة) ، فقد عد أشعر شعر (بني عيس) في رأي أبناء قبيلته.  
روي ان (عمر بن الخطاب) « قال للحطية : كم كنتم في حربكم ؟ قال :  
كنا ألف حازم . قال : وكيف ؟ قال : فينا قيس بن زهير ، وكان حازماً  
وكان لا نعصيه ، وكنا نقدم باقدام عنزة ، ونأتم بشعر عروة بن الورد ، وناقداً  
لأمر الربيع بن زياد <sup>٣</sup> .

ويرى (بروكلمن) ، انه كان بدوياً قحاً ، رويت له أشعار أكثر مما روي  
لتأبط شراً والشنفرى ، لكنه كان دونهما في تصوير حياة الجاهلية <sup>٤</sup> .

ولعروة ديوان برواية (ابن السكيت) (٢٤٣ هـ) (٢٤٤ هـ) ، طبع جملة طبعات.  
وقد ترجم الى الألمانية والفرنسية <sup>٥</sup> ، وقد جمع (الأصمعي) شعره في ديوان  
لم يصل إلينا <sup>٦</sup> .

وفي شعر عروة شعر مصنوع ، وضع عليه ، وفيه كما رأينا ما ليس له، وقد  
نسبه بعض العلماء الى غيره ، ونجد في شعره شعراً يمثل طبيعة مجتمع حضري  
غلبت عليه التفرقة الطبقيّة ، فيه غنى حضر ، وفقر أهل مدن ، يظهر أنه وضع  
على لسانه حكاية عن وضع الناس في ذلك الوقت ، خشية ناظمه من تعرض الحكام

١ الخزانة (٢١٦/٤) وما بعدها .

٢ الاغانى (١٩٠/٢) ، الشعر والشعراء (٤٢٥) ، الجماهرة . (١١٤) ، زيدان ،

تاريخ الادب العربي (١٦٤/١) .

٣ ديوان عروة (٣) .

٤ بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (١٠٩/١) .

٥ راجع التفاصيل في بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (١٠٩/١) ، زيدان ، تاريخ

آداب اللغة العربية (١٦٤/١) .

٦ الشعراء الصعاليك (١٥٨) .

أو الأغنياء له بسوء ، فيما لو نشره باسمه ، فأثر نظمه باسم (عروة) .  
و ( الشنفرى ) ، وهو ( ثابت بن أوس ) الأزدي ، وقيل بل (الشنفرى)  
اسمه لا لقبه ، وقيل : بل هو : ( عمرو بن مالك ) الأزدي ، وقيل ( عمرو  
ابن براق ) ، وقيل غير ذلك ، من ( بني الأواس بن الحجر بن الهيثم بن  
الأزد )<sup>١</sup> ، من الهانية في عرف أهل النسب . وهو من الصعاليك ومن العدائين .  
وكان من المراقبين للشاعر ( تأبط شراً ) في كثير من غزواته . وكان أكبر منه  
سناً ، وتوفي قبله . وذكر أنه حلف يميناً أن يقتل من ( بني سلامان ) مائة رجل  
فقتل تسعة وتسعين ، فأمسك به رجل عداء ، هو ( أسيد بن جابر ) وهو عداء  
من العدائين وقتله . فرّ به رجل من بني سلامان فركل جميعته ، فدخلت  
شظية منها في رجله فات . فوفى الشنفرى بقسمه ، وأتم العدد وهو ميت<sup>٢</sup> .  
ويلاحظ أن أهل الأخبار يزعمون أن ( عمرو بن هند ) كان قد حلف يميناً أن  
يقتل من ( بني دارم ) مائة رجل ، وأن يلقي بهم في النار ، فسار اليهم فقتل  
تسعة وتسعين وأحرقهم بالنار ، وبقي عليه أن يبر بقسمه بقتل واحد آخر منهم  
حتى يكمل العدد ، فر رجل من البراجم شمّ رائحة حريق القتلى ، فحسبه قنار  
الشواء ، فال إليه ، فلما رآه ( عمرو ) ، قال له : بمن أنت ؟ قال : رجل من  
البراجم ، فقال : ان الشقي وافد البراجم ، وأمر فقتل وألقي في النار . فبرت  
به يمينا<sup>٣</sup> . وقد يكون للقصة ولقصص آخر من هذا النوع علاقة بطوقوس أو  
بأساطير جاهلية قديمة ، تجعل الأبطال ، ينثرون نذوراً تختلف عن نذور سائر  
الناس ، هي قتل مائة نفس قربي إلى الآلهة ، بدلاً من تقديم الضحايا من  
الحيوانات .

وكان ( الشنفرى ) يحقد على ( بني سلامان ) حقداً شديداً ، وسبب حقه  
عليهم ، انه كان قد وقع أسيراً وهو صبي في ( بني شبابة بن فهم ) ، فانتفى

- ١ الخزانة ( ١٦/٢ وما بعدها ) ، البيان والتبيين ( ٢٢٤/٣ ) ، المفضليات ( ١٠٦/١  
وما بعدها ) ، مجالس ثعلب ( ٤٢٦ ) ، الحيوان ( ١٠٨/٣ ) ، ( ٢٤٤/٦ ) ، أمالي  
القالي ( ١٥٧/١ ) ، رسالة الفخران ( ٣٥١ وما بعدها ) .
- ٢ الشعر والشعراء ( ٢٥/١ وما بعدها ) ، تاج العروس ( ٣٠٨/٣ ، ٣١٨ ) ،  
( شفر ) ، ( الشنيفة ) ، الاغانى ( ٨٧/٢١ ) ، الخزانة ( ١٤/٢ ) ، بولاق ،  
ذيل الامالي ( ٢٠٨ وما بعدها ) ، زيدان ، تاريخ آداب ( ١٦١/١ ) .
- ٣ الجزء الثالث من هذا الكتاب ( ص ٢٥١ ) .

اليهم ، ثم وقع أحد ( بني شبابة ) أسيراً في ( بني سلامان بن مفرج ) من الأزد ، ففدى ( بنو شبابة ) الأسير به . فصار ( الشنفرى ) فيهم ، وحسب منهم ، ثم انه أراد الزواج من ابنة رجل منهم ، فرده والدها رداً عنيفاً ، أثار فيه ، فعاد الى ( بني فهم ) ، وأخذ يغير على ( بني سلامان ) للإهانة التي لحقت من الرجل ، والتي كانت سبب صعلكته<sup>١</sup> .

ويروى ان الشنفرى أغار مع ( تابط شراً ) و ( عمرو بن براق ) على ( بجيلة ) ، فوجدوا بجيلة قد أقعدوا لهم على الماء رسداً ، وقد علم ( تابط شراً ) انهم يريدونه ، فتأمر مع الشنفرى وعمرو بن براق ، على انقاذه إن وقع في أيديهم ، فلما جاء الماء قبضوا عليه ، فعمد الشنفرى وابن براق الى حيلة كانوا قد اتفقوا عليها لغش بجيلة ، فأتقنوه ، وهربوا ساخرين من بجيلة التي خدعت بها<sup>٢</sup> . وللعرب قصص ترويه عن بساطة ( بجيلة ) ، وسرعة انخداعها بالحيل .

وهو كما سبق أن ذكرت ، أحد أغربة العرب ، ويظهر ان الملامح الافريقية كانت بارزة عليه ، بدليل تلقيبه بالشنفرى ، و ( الشنفرى ) الغليظ الشفاه ، ويظهر انه أخذ ملامحه من أمه السوداء . وأخباره متناقضة متضاربة ، يظهر منها ان أباه قد قتله قاتل من (الأزد) ، قتله ( حرام بن جابر ) ، وكان قد قدم ( منى ) فقيل له : هذا قاتل أبيك ، فشد عليه فقتله<sup>٣</sup> . فحقد على قتلة أبيه ، وقرر الانتقام منهم شر انتقام ، وأن لا يكف عنهم ما دام حياً ، فكان يكثر من الغارة عليهم ، يغير مع من معه من صعاليك ، وقد يغير عليهم وحده<sup>٤</sup> .

ويروى في قتله ، انه قتل من ( بني سلامان بن مفرج ) تسعة وتسعين رجلاً ، فأعدت له رجالاً يرصدونه ، فلما دنا من ماء ليشرب ، قبض عليه رجلان من ( بني البقوم ) من الأزد ، فقبضا عليه ، وأصبحا به في ( بني سلامان ) . فربطوه الى شجرة ، فقالوا : قف أنشدنا ، فقال الإنشاد على حين المسرة ، ثم قال :

- ١ بروكلمن ( ١٠٥/١ ) ، الاغاني ( ١٣٤/٢١ ) .
- ٢ الخزانة ( ١٧/٢ ) .
- ٣ الاغاني ( ١٣٧/٢١ ) ، الخزانة ( ١٦/٢ ) .
- ٤ الاغاني ( ١٣٥/٢١ ) .

فلا تدفونني إن دفني محرم<sup>١</sup> عليكم ولكن خامري أم عامر  
إذا حملوا رأسي وفي الرأس أكثرى وغودر عند الملتقى ثم سائري  
هنالك لا أرجو حياة تسرني سمر الليالي مبسلاً بالجزائر<sup>٢</sup>

وذكر ( المرتضى ) أن هناك من نسب هذا الشعر الى تأبط شراً<sup>٣</sup> . وقد نسيه  
( الجاحظ ) الى ( تأبط شراً ) ، إذ قال : « وقال تأبط شراً :

فلا تقبروني إن قبري محرم<sup>٤</sup> عليكم ولكن خامري أم عامر  
إذا ضربوا رأسي وفي الرأس أكثرى وغودر عند الملتقى ثم سائري  
هنالك لا أبغي حياة تسرني سمر الليالي مبسلاً بالجزائر<sup>٥</sup> »

ويختلف نص هذا الشعر بعض الاختلاف عن النصوص الأخرى<sup>٦</sup> .

ويذكر أنه لما وقع بأيدي أعدائه ، تفننوا في قتله ، وأروه أصناف العذاب .  
قطعوا يده ، وصاروا يسخرون منه ، ويسألونه أين يدفونه . فرد عليهم بمقطوعة  
رائعة ، كما رثا يده بأرجوزة لما قطعوها ، وقد ذكر أنه طلب منهم ألا يدفن ،  
ولمّا يلقى بجسده الى الضباع<sup>٧</sup> . وروي أن رجلاً من ( بني سلامان ) رماه بسهم  
في عينه فقتله ، فقال ( جزء بن الحارث ) في قتله :

لعمرك للساعي أسيد<sup>٨</sup> بن جابر أحق بها منكم بني عقب الكلب<sup>٩</sup>

- ١ الشعر والشعراء ، لابن قتيبة ( ٢٥/١ ) ، ( دار الثقافة ) ،  
ولا تقبروني ان قبري محرم عليكم ولكن أبشري أم عامر  
إذا احتملوا رأسي وفي الرأس أكثرى وغودر عند الملتقى ثم سائري  
هنالك لا أرجو حياة تسرني سجيس الليالي مبسلاً بالجزائر
- ٢ حساسة أبي تمام ( ٢٤/٢ وما بعدها بولاق ) ، كارلو نالينو ، تاريخ الآداب العربية  
( ٧٣ ) ، الخزائن ( ١٨/٢ ) ، أمالي المرتضى ( ٧٢/٢ وما بعدها ) ، ( إذا احتملت  
رأسي ) ، أسماء المفتالين ( ٢٣٢ ) ، ( المجموعة السادسة ) .
- ٣ أمالي المرتضى ( ٧٢/٢ وما بعدها ) .
- ٤ الحيوان ( ٤٥٠/٦ ) .
- ٥ راجع العقد الفريد ( ٥٣/١ ) ، ( ٢١٩/٤ ) ، الحماسة ( ١٨٨/١ ) ، المخصص  
( ٢٥٨/٣ ) .
- ٦ الشعر الصعاليك ( ٣٣٥ ) .
- ٧ أسماء المفتالين ( المجموعة السادسة ) ، ( ص ٢٣٢ ) .

وقد ضاع أكثر شعر ( الشنفرى ) . وقد طبعت لاميته ، وللعلماء شروح وبحوث عليها . وهي في الفخر والحجاسة ، ولم يعرف كثير من قدماء علماء الشعر القديم هذه اللامية ، ومن بينهم مؤلف كتاب (الأغاني) . وقد تعرض (القالبي) لموضوع (اللامية) ، فقال : « حدثني أبو بكر بن دريد : ان القصيدة المنسوبة الى الشنفرى التي أولها :

أقيموا بني أمي صدور مطيكم فإني الى قومٍ سواكم لأميل

له ، وهي من المقدمات في الحسن والفصاحة والطول ، فكان أقدر الناس على قافية هـ<sup>١</sup> . ويعود الضمير ( له ) الى خلف الأحمر . أي ان القصيدة هي من صنعه وعمله . وعدة القصيدة ثمانية وستون بيتاً . ومن شرحها : الخطيب التبريزي ، والزمخشري ، وابن الشجري ، وابن اكرم وغيرهم<sup>٢</sup> . وقد ورد في ( تأريخ الآداب العربية ) لكارلو نالينو : « أما الشنفرى الأزدي فصاحب اللامية المشهورة التي يفتخر فيها بانفراده من قومه ووحشة عيشه في البراري كأنه لم يعاشر إلا السباع . وهي قصيدة غاية في الجمال تنطق بلسان حال الشاعر وان كان بعض النحويين يزعمون انها من مصنوعات حماد الراوية المتوفى سنة ١٥٥ هـ<sup>٣</sup> . وفي قوله : « وان كان بعض النحويين يزعمون انها من مصنوعات حماد الراوية ، وهم ، لا أدري أوقع منه ، أم من الترجمة ، لأن غالبية العلماء تنسبها الى خلف الأحمر ، لا الى حماد . كما ان وفاته كانت سنة ( ١٥٦ هـ )<sup>٤</sup> .

وقد ذهب بعض المستشرقين الذين بحثوا أمر هذه القصيدة ، الى أن القصائد التي نحلها ( خلف الأحمر ) احتفظت دائماً بعمود الشعر القديم وطابعه ، أما هذه القصيدة ، فلها طابع خاص يجعل من الصعب تصور صدورها من (خلف الأحمر)<sup>٥</sup>.

- ١ الامالي ( ١٥٦/١ وما بعدها ) ، الاغاني ( ٨٧/٢١ ) ، الخزانة ( ١٦/٢ ) ، زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية ( ١٦١/١ وما بعدها ) .
- ٢ الخزانة ( ١٥/٢ ) ، ( يولاقي ) ، اللاميتان : لامية العرب ولاميمة العجم ، من شروح الزمخشري والصفدي ، علق عليهما وأعدهما : عبد المعين الملوحي ، دمشق وزارة الثقافة والارشاد القومي ، رقم ١٣ .
- ٣ ( ص ٧٣ ) .
- ٤ الفهرست ( ١٤٠ ) .
- ٥ بروكلمن ( ١٠٦/١ وما بعدها ) .

وذهب بعض آخر الى جواز كونها من نظم ( الشنفرى )<sup>١</sup>، وذكر أنها من مصنوعات ( جماد ) الراوية<sup>٢</sup> .

وفي ( المفضليات ) قصيدة طويلة له ، هي قصيدة تائية ، ومقطعات ، وفي قصيدته وصف لحياته ولبعض غاراته، وكيف كان يقود صعايكة في طرق وعرة، وهم على أرجلهم ، ثم يصف حاله ، فهي قصيدة فيها بعض تأريخ هذا الشاعر وقصص غزوه وتعامله مع رفاقه<sup>٣</sup> .

وقد طبع الأستاذ ( عبد العزيز ) الميمني ، ديوان الشنفرى في ( الطرائف الأدبية )<sup>٤</sup> ، وتوجد أشعاره أيضاً في ( ديوان الهذليين )<sup>٥</sup> . وقد كان عند العيني ديوان للشنفرى في جملة دواوين عديدة كانت في حوزته<sup>٦</sup> . وقد كتب عدد من المستشرقين عن الشنفرى وشعره بمختلف اللغات<sup>٧</sup> .

وأما ( تأبط شراً ) ، وهو (ثابت بن جابر بن سفيان ) ، وقيل (ثابت بن عمسل ) فهو من فهم ، وكان من أغربة العرب ، لأن أمه أمة سوداء . وكان من العدائين المعروفين عند العرب . وله أخبار كثيرة في ذلك ، وله مغامرات تحمل طابع القصص والأساطير . وله قصيدة في وصف (القول) ذكر فيها كيف طير بسيفه قجف ابنة الجن<sup>٨</sup> . وكان أحد رأبيل العرب . وذكر علماء اللغة ان الرئبال هو الذي ولدته أمه وحده<sup>٩</sup> ، وبه سميت رأبيل العرب، ومن السباع الكثير اللحم الحديث السن ، والذئب الخبيث ، وترأبلوا : تلصصوا أو أغاروا على الناس

- 
- ١ بروكلمن ( ١٠٧/١ ) .
  - ٢ تاريخ الآداب العربية ( ٧٣ ) ، الاغانى ( ٥/١٣ ) .
  - ٣ العصر الجاهلي ( ٣٨٠ وما بعدها ) .
  - ٤ بروكلمن ( ١٠٥/١ ، ١٠٩ ) ، طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٣٧ م .
  - ٥ الشعراء الصعاليك ( ١٥٩ وما بعدها ) .
  - ٦ العين ، كتاب المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الالفية ( ٥٩٦/٤ ) .
  - ٧ راجع بروكلمن ( ١٠٧/١ ) .
  - ٨ الشعر والشعراء ( ١٧٤ ) ، الاغانى ( ٢٠٩/١٨ ) « بلاق » ، خزانة الادب ( ٦٦/١ ) ، بروكلمن ( ١٠٤/١ وما بعدها ) ، شرح شواهد المغنى ، للسيوطي ( ١٩ ) ، المفضليات ( ٢٧ وما بعدها ) ، الشعر والشعراء ( ٢٣٠/١ وما بعدها ) ، ( دار الثقافة ، بروكلمن ، تاريخ الادب العربي ( ١٠٤/١ ) .
  - ٩ تاج العروس ( ١٠٠/٥ ) ، ( أبط ) ، السيوطي ، شرح شواهد المغنى ( ٥٠/١ وما بعدها ) ، ( أحمد ظافر كوجان ) .

وفعلوا فعل الأسد ، أو غزوا على أرجلهم وخدمهم بلا والٍ عليهم<sup>١</sup>. وهذا المعنى هو أقرب المعاني وأقرب إلى الصحة في تفسير ( رأيل العرب ) . فهم الصعاليك الذين نبحت عنهم .

ويظهر أن أباه مات وهو صغير ، وأن أمه التي كانت أمة سوداء على أغلب الروايات ، أو أمة حرة في رواية ، تزوجت الشاعر ( أبا كبير ) الهللي ، وهو من الصعاليك ، من صعاليك هذيل ، وأن أبناء قبيلته كانوا يعبرونه بسواده ، مما ترك أثراً في نفسه ، فتصعلك ، وأخذ يرافق الصعاليكة ، ومنهم صعلوك شهر آخر ، هو ( الشنفرى ) الذي رافقه في كثير من غزواته . وقد نعت ( تأبط شراً ) بأنه كان شاعراً بئساً ، يغزو على رجله<sup>٢</sup> .

وبما يروى من قصصه أنه كان يشتار عسلاً من جبل ليس له غير طريق واحد ، فأخذت لحيان عليه ذلك الموضع ، وخيروه النزول على حكمهم أو إلقاء نفسه من الموضع الذي ظنوا أنه لا يسلم . فصب العسل الذي معه على الصفاو شد صدره على الزق ثم لصق على العسل ، فلم يبرح يتزلق عليه حتى نزل سالماً ، فنظم في ذلك قصيدة مطلعها :

إذا المرء لم يحتل وقد جد جده أضاع وقاسى أمره وهو مُدبر<sup>٣</sup>

ولعلماء الشعر قصص في تفسير تسمية هذا الشاعر بـ ( تأبط شراً ) ، فزعم بعض منهم أنه « إنما سمّي تأبط شراً لأنه أخذ سيفاً وخرج ، فقبل لأمه أين هو ؟ قالت : لا أدري ، تأبط شراً وخرج . وقبل أخذ سكيناً تحت أبطه وخرج إلى نادي قومه فوجأ بعضهم ، فقبل تأبط شراً . وزعم بعض آخر أن أم تأبط شراً قالت له يوماً : إن الغلمان يجنون لأهلهم الكمأة فهلا فعلت كفعلهم ، فأخذ جرابه ومضى فإله أفاعي وأتى متأبطاً به ، فألقاه بين يديها فخرجت الأفاعي منه

- ١ تاج العروس ( ٣٣٣/٧ ) ، ( ربل ) ، الاشتقاق ( ١٦٢ وما بعدها ) ، اللآلئ ( ١٥٨ وما بعدها ) ، التيجان ( ٢٤٢ وما بعدها ) ، أسماء المغتالين ( ٢١٥ ) ،
- ٢ الشعر والشعراء ( ٢٢٩/١ ) ، ( دار الثقافة ) ، الاغاني ( ٢١٥/١٨ وما بعدها ) ، Baur, in ZDMG, X, 7, 17, ff.
- ٣ السيوطي ، شرح شواهد ( ٩٧٥/٢ ) ، الاغاني ( ٢١٥/١٨ ) ، شرح ديوان الحماسة ( ٢٨/١ ) ، المحبر ( ١٩٧ وما بعدها ) ، الخزائن ( ٣٥٧/٣ ) .

تسعى فولت هاربة . فقال لها نساء الحي : ما الذي كان ابنك متأبطاً له ؟ فقالت :  
تأبط شراً ! وقيل : إنه رأى كبشاً في الصحراء فاحتمله تحت إبطه ، فجعل  
يبول عليه طول طريقه ، فلما قرب من الحي ثقل عليه الكبش ، فرمى به ، فإذا  
هو الغول . فقال له قومه : ما كنت متأبطاً يا ثابت ؟ قال : الغول . قالوا :  
لقد تأبطت شراً ، فسمي بذلك . وانه قال في ذلك :

تأبط شراً ثم راح أو اغتدى يوائم غمماً أو يشيف على ذحل

وقيل سمّي بهذا البيت . قال رجل لتأبط شراً : يمّ تغلب الرجال وأنت دميم  
ضئيل ؟ قال : باسمي ، إنما أقول ساعة ما ألقى الرجل : أنا تأبط شراً ، فينخلع  
قلبه حتى أنال منه ما أردت <sup>١</sup> . وقيل إنما سمّي (تأبط شراً) ، لأن أمه رآته  
وقد تأبط جفير سهام وأخذ قوساً ، فقالت له : هذا تأبط شراً ، أو تأبط  
سكيناً فأثى ناديم فوجاً بعضهم ، فسمي به لذلك ، وكان لا يفارقه سيفه .  
قتلته هذيل في رواية ، وقالت أخته ترثيه :

نعم الفتى غادرتم برحمان بثابت بن جابر بن سنان

وكانت تسمى ( ربيعة ) . وذكر أن أمه هي التي رثته . وقد ذكر في أشعار  
هذيل <sup>٢</sup> .

وكان سبب قتله ، انه خرج غازياً في نفر من قومه ، إذ عرض لهم بيت  
من هذيل ، بين صدى جبل ، فأراد مهاجمته ، فنعه من كان معه من مباحته ،  
لخروج ضبع اعترفوا منه ، فلم يبال بتشاؤمهم ، فلما قارب البيت رآه غلام ،  
فهرب الى الجبل ، فهجم تأبط شراً مع جماعته على البيت ، فقتلوا شيخاً وعجوزاً ،

١ الاغاني ( ١٤٦/٢١ ) ، شرح حماسة أبي تمام ( ٧٥/١ ) ، السيوطي ، شرح شواهد  
( ٥٢/١ ) .

٢ تاج العروس ( ١٠٠/٥ ) ، ( أبط ) قال مليح الهذلي :  
ونحن قتلنا مقبلاً غير مدبر تأبط ، ما ترهق بنا الحرب ترهق  
اللسان ( ٢٥٤/٧ ) ، ( أبط ) .

ويقال أم طرف قتلوا برحمان بثامت بن جابر بن سنان  
الشعر والشعراء ( ٢٢٩/١ ) ، ( دار الثقافة ) ، الاغاني ( ٢٠٩/١٨ ) ، ( بولاق ) ،  
المغتالين ( ٢١٥ ) ، الخزائن ( ٦٦/١ ) .

وحازوا جاريتين وإبلاً ، ثم أبصر تأبط شراً بالغلام ، فاتبعه ، فرماه الغلام بسهم أصاب قلبه ، وحمل على الغلام فقتله ، ثم مات هو من السهم ، وترك جثة ، فاحتملته هذيل ، وطرحته في غار يقال له غار (رخان) . فرثته أخته ( ربيطة ) بقولها :

نعم الفتى غادرتم برخان ثابت بن جابر بن سفيان  
قد يقتل الثيرن ويروي الندمان<sup>١</sup>

وفي بيت شعر ينسب الى تأبط شراً ، هو :

ولست أبيت الدهر إلا على فنى أسلبه أو أذعر السرب أجمعا<sup>٢</sup>

معنى يفيد انه كان يغسّر على القادم والآيب ، يسليه ويأخذ ما عنده ، لا يبالي بشيء إلا بمحصله على غنيمة السلب ، وهو ان قابل قافلة ، فلم يتمكن منها ، يكون قد رضي من فعله بما ألقاه من رعب وذعر في قلوب أصحابها ، ويكون قد اشتنى بملك منها . فهو رجل منتقم ، يريد أن يفرج عما ولد في قلبه من غلّ ، بأية طريقة كانت ، غلّ ، ولد فيه ، من سواد لونه ، ومن ازدراء قومه له ، ومن فقره وسوء حاله في هذه الحياة ، وذلك فيما لو صح ان هذا الشعر هو من قوله .

ونسب قوم من الرواة الى ( تأبط شراً ) قصيدة مطلعها :

ولقد سریتُ على الظلام بمغشمٍ جلد من الفتيان غير مهبل

وهي قصيدة نسبها غيرهم الى ( أبي كبير ) الملهلي ، ووضعوا حولها قصة في شرح السبب الذي حمل ( أبا كبير ) أو ( تأبط شراً ) على نظمها<sup>٣</sup> .

قال (الملاحظ) في كتابه ( الحيوان ) : « وقال تأبط شراً - إن كان قالها - :

١ اسماء المختالين ( ٢١٥ وما بعدها ) .

٢ الاغاني ( ٢١٧/١٨ ) .

٣ الشعر والشعراء ( ٥٦٢/٢ وما بعدها ) ، ( الثقافة ) .

شامس في القرّ حتى اذا ما ذكت الشعيرى فبرد وظل  
وله طعمان أرّي وشري<sup>١</sup> وكلا الطعمين قد ذاق كل<sup>١</sup> ،  
مما يدل على انه في شك من أمر نسبة هذه القصيدة اليه .

وأشعار ( تأبط شراً ) متناثرة في كتب الأدب . ولم يطبع له ديوان بعد .  
ومن شعره أبيات ، يذكر فيها أن ( عدالة ) لامته حتى أكثرت من لومه ،  
فكادت تخرق جلده أي تخراق ، وقد عبر عن ذلك بقوله :

يا من لعدالة خذالة نشب خرقت باللوم جلدي أي تخراق  
تقول: أهلكت مالا لو ضننت به من ثوب عزٍ ومن بزٍ وأعلاق  
سدّد خلاك من مال تجمععه حتى تلاقى ما كلّ امرئ لاق  
عاذلتا إن بعض اللوم معنفة وهل متساع وإن بقيته<sup>٢</sup> باق<sup>٢</sup>

وهذه هي مشكلة أولئك الصماليك ، كانوا يخاطرون بحياتهم ، للحصول على  
مال ، فإذا حصلوا عليه ، ونجوا من تعقب الناس لهم ، أهلكوه . يتلفونه على  
ملذاتهم ، أو على أصدقائهم . وإذا بهم في حاجة الى مال ، وفي عسر وضيق .  
ومن شعره قوله :

لَتَقْرَعَنَّ عليّ السنّ من ندمٍ إذا تذكّرت يوماً بعض أخلاقي<sup>٣</sup>

وله شعر يصف فيه حاله ، بقوله :

قليل التشكّي للمهم يُصيّبه كثيرُ الهوى شتى النوى والمسالكِ  
يظلّ بمومة ويمسي بغيرها جحيشاً ويعروري ظهورَ المهالكِ  
ويسبق وفد الريح من حيث يتحي بمنخرق من شدة المتداركِ  
إذا خاط عينيه كرى النوم لم يزل له كاليء<sup>٤</sup> من قلب شيحان فاتك

١ الحيوان ( ٦٨/٣ وما بعدها ) .  
٢ الشعر والشعراء ( ٢٣٠/١ ) ، ( دار الثقافة ) ، أبو تمام ديوان الحماسة ( ٣٨٢ )  
وما بعدها ) .  
٣ الحيوان ( ٦٣/١ ) .

ويجعل عينه ريشة قلبه الى سلة من حدٍ أخلق صائك  
 اذا هزه في عظم قرن تهلت نواجذ أفواه المنايا الضواحك  
 يرى الوحشة الأنس الأنيس ويهتدي بحيث اهتدت أم النجوم الشوابك<sup>١</sup>

وهي قصيدة مدح بها عمه ( شمس بن مالك )<sup>٢</sup> .

وقد شك ( الجاحظ ) في نسبة هذه القصيدة الى ( تأبط شراً ) ، إذ قال :  
 « ومن هذا الباب قول تأبط شراً ، أو قول قائل فيه في كلمة له<sup>٣</sup> . وتنسب  
 أيضاً الى ( السليك بن السلكة ) أحد غرابيب العرب<sup>٤</sup> .

وله قصيدة ذكر فيها أنه التقى بالغول ، وصار جاراً للغيلان ، وقد وصف  
 حاله معها ، حيث قال :

وأدهم قد جبت جلبابهُ كما اجتابت الكاعبُ الخيملا  
 الى أن حدا الصبحُ أثناءهُ ومزق جلبابه الأيلا  
 على شيم نارٍ تنورتها فبت لها مدبراً مقبلا  
 فأصبحت والغول لي جارة فيسا جارتا أنت ما أهولا  
 وطالبتها بعضها فالتوت بوجه تهول فاستهولا

وهي قصيدة ذكرها ( ابن قتيبة ) ، وقد اكتفيت منها بالآيات المقدمة<sup>٥</sup> .  
 وقد عمل ( ابن جني ) ديوان ( تأبط شراً )<sup>٦</sup> ، ونشرت بعض أشعاره  
 وترجمت بلغات أعجمية<sup>٧</sup> .

- ١ الحماسة ، لابي تمام ( ٤٦/١ وما بعدها ) ، ( بولاق ) ، كارلو نالينو ، تاريخ الآداب العربية ( ٧٣ ) ، ( اذا خاص ) ، ( اذا خاط ) ، الحيوان ( ٤٦٧/٦ ) .
- ٢ كارلو نالينو ، ( ٧٣ ) .
- ٣ الحيوان ( ٢٥٥/٦ ) ، وتجد اختلافا بين نص الجاحظ لها ، وبين نصها في الموارد الاخرى .
- ٤ الحماسة ( ٢٢/١ ) ، القالي ، أمالي ( ١٣٨/٢ ) ، التيجان ( ٢٤٢ ) ، زهر الاداب ( ١٨/٢ ) ، الصناعتين ( ٢٧٩ ، ٣١٠ ) ، ثمار القلوب ( ٢٠٤ ) ، الحيوان ( ٢٥٦/٦ ) .
- ٥ الشعر والشعراء ( ٢٣٠/١ وما بعدها ) . اعجاز القرآن ، للباقلاني ( ٢٢ ) ، مروج الذهب ( ١٣٤/٢ وما بعدها ) ، ( ذكر أقاويل العرب في الغيلان والتغول ) .
- ٦ بروكلمن ( ١٠٤/١ وما بعدها ) .
- ٧ Ch. Lyell; Four Poems by T. Sh. the Poet, brigand, JRAS, 1918, 211-227.

وأما ( السليك بن السلكة ) ، فهو من تميم . وأمه أمة سوداء ، وكان يغير على القبائل ، ولا سيما القبائل البائية وقبائل ربيعة . وكان من العارفين باقتفاء الأثر . ومن العالمين بالمسالك وبالطرق وبالأرض . يذكرون أنه كان اذا جاء الشتاء استودع بيض النعام ماء السماء ثم دفنه ، فإذا كان الصيف ، وأغار واحتاج الى الماء ، جاء الى مواضع البيض ، فاستخرج البيض منها وشرب ما فيه من ماء<sup>١</sup> .

وقد نسب ( سليك ) على هذا النحو : « سليك بن يثربي بن سنان بن عمير ابن الحرث ، وهو مقاعس بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم بن سلكة ، وهي أمه . ولذا قيل : ( ابن السلكة ) وقيل اسم والده : ( عمرو بن يثربي ) ، ويقال ( عمير ) ، وهو شاعر لص فتاك عداء . يقال : وأعدى من سليك ، ويقال له : ( سليك المقانب ) . قال قرآن الأسدي ، وقيل أنس ابن مدرك :

تخطابُ ليلٍ بالَ برثنِ منكم على الهول، أمضى من سليك المقانب<sup>٢</sup>

وقال أهل الأخبار عنه، انه أحد أغربة العرب وهجئاتهم وصعاليكهم ورجيلاتهم ، وكان له بأس ونجدة . وكان أدل الناس بالأرض وأجودهم عدواً على رجله ، وكان لا تعلق به الخيل . وتذكر قصة انه خرج رجاء أن يصيب غرة من بعض من يمر عليه ، فيذهب بإبله ، وبينما هو نائم ، واذا برجل يجثم عليه ، ويقول له : استأسر ، فتمكن منه السليك ، ووجده صعولاً فقيراً جاء مثله لعله يصيب شيئاً ، فاتفق معه على أن يغزوا معاً ، فلما سارا وجدوا رجلاً صعولاً انضم إليهما ، واتفقا على الغزو ، ولما كانوا في جوف ( مراد ) ، وجدوا نعماً ، فطلب (سليك) من رفيقيه الانتظار والتربص ريثما يذهب الى الرعاء فيلهيها ، ثم يغيرا على النعم . فلما وصل الى الرعاء ، تودد اليهم ، ثم قال لهم : ألا أغنيكم ؟ قالوا : بلى ، فأخذ يغني :

- ١ زيدان ، تاريخ آداب ( ١٦٣/١ ) ، الاغاني ( ١٨/١٣٣ ) ، الشعر والشعراء ( ٢١٣ ) .
- ٢ اللسان ( ٤٤٣/١٠ ) ، ( سلك ) ، تاج العروس ( ٧/١٤٤ ) ، ( سلك ) ، ( السليك ابن سنان بن سلكة ) ، تحفة الايبه فيمن نسب الى غير ابيه ( ١٠٥ وما بعدها ) ، ( نوادر المخطوطات ، المجموعة الاولى ) .

يا صاحبيّ ألا لا حيّ بالوادي إلا عبيد وآم بين أذواد  
أنتظران قليلاً ريث غفلتهم أم تعدوان فإن الريح للمادي

فلما سمعا ذلك أطردا الإبل فذهبا بها<sup>١</sup> .

وذكر ان ( بكر بن وائل ) سارت للإغارة على ( تميم ) . ورائه ثلاثها ، فأرادت القبض عليه ، حتى لا يذهب اليهم فيخبرهم بزحفهم عليهم . ولكنه ركض مسرعاً ، فقلت منهم ، وأخبر قومه بغزوهم ، فكذبوه . فقال في ذلك شعراً ، وجاءت ( بكر بن وائل ) فأغارت عليهم<sup>٢</sup> .

وقد وصفه ( عمرو بن معدى كرب ) في شعر منه :

وسيري حتى قال في القوم قائل : عليك أبا ثورٍ سُلَيْكِ المقانِبِ<sup>٣</sup>

ومرّ ( سليك ) في بعض غزواته ببيت من ( خثعم ) ، أهله خلوف ، فرأى فيهم امرأة بضة شابة ، فتسنمها ومضى ، فأخبرت القوم ، فركب ( أنس بن مدرك الخثعمي ) في أثره فقتله ، وطولب بدبته ، فقال : والله لا أديسه ابن إفال ، وقال :

لاني وقتلي سليكا يوم أعقله كالثور يضرب لما عافت البقر  
غضبتُ للمرء إذ نيكت حليلته وإذ يشدُّ على وجعائها الثغر<sup>٤</sup>

وقد ورد البيتان على هذه الصورة :

لاني وقتلي سليكاً ثم أعقله كالثور يضرب لما عافت البقر  
أنفت للمرء إذ نيكت حليلته وأن يشدُّ على وجعائها الثغر<sup>٥</sup>

ومن بقية الشعراء الصعاليك ، ( حاجز ) الأسدي ، و( قيس بن الحدادية )

- ١ الشعر والشعراء ( ٢٨٢/١ وما بعدها ) ، ( الثقافة ) ، الاغاني ( ١٣٤/١٨ ) .
- ٢ الشعر والشعراء ( ٢٨٤/١ ) ، ( الثقافة ) ، الخزائنة ( ١٧/٢ ) ، ( بولاق ) .
- ٣ الشعر والشعراء ( ٢٨٤/١ ) ، ( الثقافة ) .
- ٤ الشعر والشعراء ( ٢٨٥/١ ) ، ( الثقافة ) أسماء المقتالين ( ٢٢٠ ، ٢٢٦ وما بعدها ) ، الاغاني ( ١٣٣/١٨ ) ، المؤتلف ( ١٣٧ ) ، الخزائنة ( ١٧/٢ ) .
- ٥ الحيوان ( ١٨/١ ) .

الأزدي ، و ( أبو الطمحان ) القيني ، و ( أبو خراش ) الهليلي ، وصخر الغي الهليلي<sup>١</sup> ، وأخوه الأعم الهليلي<sup>٢</sup> ، وعمرو ذو الكلب<sup>٣</sup> .

فأما ( قيس بن الحدادية ) ، فهو ( قيس بن منقذ بن عبيد بن أصرم بن ضاظر بن حُبشية بن سلول ) ، وله مع ( عامر بن الظرب ) حديث . وصفه ( المرزباني ) ب « شاعر قديم كثير الشعر »<sup>٤</sup> . وأمه من ( بني حُدَاد ) كنانة ، وقوم يجعلونها من حداد محارب . وكان صعلوكاً خليعاً<sup>٥</sup> ، ساهم مع جماعة من أهله في قتل رجل من قبيلتهم ، وعجز قومه من دفع دينه، فولوا هاربين ، فقتلوا في ( فراس بن غنم ) ثم لم يلبثوا أن قتلوا منهم رجلاً ، فهربوا ، فقتلوا على ( أسد بن كرز ) من ( بجيلة ) ، فأحسن اليهم وتحمل عنهم ما أصابوا في خزاعة وفي فراس<sup>٦</sup> . وقد نسب ( قيس ) الى أمه الحدادية ، وهي حضرمية من محارب<sup>٧</sup> . وورد ان أمه من ( محارب بن خصفة ) . و ( حداد ) من كنانة . ومن شعره :

أنا الذي أطرده مواليه<sup>٨</sup> وكلهم بعد الصفاء قاله<sup>٩</sup>

ولا نجد في بطون الكتب شعراً كثيراً لقيس بن الحدادية ، بحيث تنطبق عليه جملة ( كثير الشعر ) التي أطلقها ( المرزباني ) على شعر هذا الشاعر ، مما يبعث على الاحتمال بضياعه منذ عهد طويل .

وألّف ( قيس بن الحدادية ) ، عصابة ضمت « شذاذاً من العرب وفتاكاً

- 
- ١ شرح أشعار الهذليين ( ١٢/١ ) ، الاغانى ( ١٩/٢٠ ) ، الشعر والشعراء ( ٥٥٩/٢ ) ، ديوان الهذليين ( ٥٧/٢ ) .
  - ٢ الشعر والشعراء ( ٥٥٩/٢ ) .
  - ٣ الاغانى ( ١٩/٢٠ ) .
  - ٤ زيدان ، تاريخ آداب ( ١٦٤/١ ) .
  - ٥ المرزباني ، معجم ( ٢٠٢ ) ، الاغانى ( ٦/١٣ ) .
  - ٦ الاغانى ( ٢/١٣ ) وما بعدها ) ، الشعراء الصعاليك ( ٩٦ وما بعدها ) .
  - ٧ كتاب من نسب الى امه من الشعراء ( ٨٦ وما بعدها ) ، ( نواذر المخطوطات ، المجموعة الاولى ) .
  - ٨ كتاب من نسب الى امه من الشعراء ( ٨٧ ) ، الاشتقاق ( ٢٧٧ ) ، ألقاب الشعراء ، لابن حبيب ( ١٣٩ ) .

من قومه ، وأخذ يغير على عشرته بسبب خلعها له ، وبقي شريداً متمرداً يغزو بصعاليكه ، الى أن قتل صعلو كاً<sup>١</sup> .

وأما ( أبو الطمحان ) القيني ، فهو ( حنظلة بن الشريقي ) من بني كنانة بن القين ، وكان فاسقاً ، نازلاً بمكة على الزبير بن عبد المطلب ، وكان يتزل عليه الخلاء ، وكان ندماً له في الجاهلية . اختلف فيه ، فمنهم من قال إنه جاهلي ، ومنهم من قال إنه أدرك الإسلام . وقد زعم بعضهم أنه عاش مائتي سنة ، وأنه ندم على ما اقترفه من الذنوب كالزنا وشرب الخمر وأكل لحم الخنزير والسرقة ، ورووا له شعراً تبرأ فيه من الذنوب . ذكر أنه قيل له : ما أدنى ذنوبك؟ قال : ليلة الدير ، قيل له : وما ليلة الدير ؟ قال : نزلتُ بديريانية ، فأكلت عندها طفشياً بلحم خنزير ، وشربت من خمرها ، وزنيت بها ، وسرقت كساءها ، ومضيت ؟! وكانت له ناقة يقال لها ( المرقال ) ، وله إبلى استقاها قوم نزلوا ضيوفاً عليه وشربوا من ألبانها ثم أدخلوها معهم ، فقال في ذلك شعراً منه :

واني لأرجو ملحها في بطونكم وما بسطت من جلد أشعث أغبر<sup>٢</sup>

وذلك أنه جاورهم ؛ فكان يستقيهم اللبن ؛ فقال أرجو أن تشكروا لي ردّ إبلي ، على ما شربتم من ألبانها ، وما بسطت من جلد أشعث أغبر ، كأنه يقول : كنتم مهازبل فبسط ذلك من جلودكم<sup>٣</sup> .

وروي أنه كان من المعمرين ، عاش على حدّ قول بعضهم مائتي سنة . فقال في ذلك :

حتنني حائيات الدهر حتى كأني خاتل أدنو لصيد  
قصير الخطوٍ يحسب من رأني ولست مقيداً أني بقيد<sup>٤</sup>

١ الشعراء الصعاليك ( ٩٧ وما بعدها ) .

٢ الشعر والشعراء ( ٣٠٤/١ وما بعدها ) ، الاصابة ( ٣٨١/١ ) ، ( رقم ٢٠١١ ) ، الاغانى ( ١٢٥/١١ ) ، الخزانة ( ٤٢٦/٣ ) ، المعمرين للسجستاني ( ٦٢ ) ، المؤلف ( ١٤٩ ) ، أمالي المرتضى ( ٢٥٧/١ وما بعدها ) .

٣ الحيوان ( ٤٧٣/٤ ) .

٤ أمالي المرتضى ( ٢٥٧/١ ) .

ونسب ( المرتضى ) له قوله :

ولاني من القوم الذين همُّ همُّ  
نجوم سماء كلما غاب كوكب  
أضواء لهم أحسابهم ووجوههم  
وما زال منهم حيث كان مسوداً  
إذا مات منهم ميت قام صاحبه  
بدا كوكبٌ تأوي إليه كواكبه  
دجى الليل حتى نظّم الجزع ثاقبه  
تسير المنايا حيث سارت كتابه<sup>١</sup>

وقد لاقى ( أبو الطمحان ) مصاعب عديدة ، وكان لا يكاد يجد له مكاناً يستقر فيه ، حتى تقع له حادثة توقعه في مشكلات عويصة وفي شدة ومحنة ، فكان ينتقل من جار الى جار ، ثم يهيم بالعودة الى أهله لولا خوفه من أداء الدية التي عليه أن يدفعها ، فيحجم عن الذهاب اليهم ، حتى استقر أخيراً في ( بني فزارة ) في جوار رجل يقال له ( مالك بن سعد ) أحد ( بني شمع ) ، وكان كريماً ، فأواه ، وأعطاه إبلًا لتكون دية جنابته وزاد عليها ، وكان قد لمح له انه يريد العودة الى أهله لولا هذه الدية ، فلما وجد هذا السخاء من مالك ، بقي عنده ، وصار أحد عشرته حتى هلك فيها ، وهو طاعن في السن<sup>٢</sup> . فذكره ( السجستاني ) لذلك في المعمرين ، وأعطاه مائتي سنة من عمر مديد<sup>٣</sup> !

ونسب الى ( أبي الطمحان ) قوله :

إن الزمان ولا تفنى عجائبه فيه تقطع آلافٍ وأقران  
أمست بنو القين أفراقاً موزعة كأنهم من بقايا حي لقمان<sup>٤</sup>

وله شعر في مدح ( مالك بن حمار ) الشمخي ، وكان شريفاً من أشراف العرب قتله ( خفاف بن ندامة ) السلمي<sup>٥</sup> ، يقول فيه :

- ١ أمالي المرتضى ( ٢٥٧/١ ) .
- ٢ الاغانى ( ١٣٢/١١ وما بعدها ) .
- ٣ المعمرين ( ٦٢ ) .
- ٤ البيان والتبيين ( ١٨٧/١ ) .
- ٥ الاشتقاق ( ١٧٢/٢ ) ، البيان والتبيين ( ٢٣٥/٣ ) ، وقد اخطأ السيد عبد السلام محمد هارون في الجزء الاول من كتاب الحيوان الذي حققه ، اذ قال : « وهو يمدح مالك بن حماد الشمخي » ، ثم علق عليه برقم (٤) حاشية ، ثم قال في الحاشية : « هو قاتل خفاف بن ندامة » ، ( ص ٣٨٠ ) ، الاغانى ( ١٣٤/١٣ ) .

سأمدح مالكا في كل ركبٍ      لقيتهم وأترك كل رذل  
 فإنا والبكارة من مخاضٍ      عظامٍ جلة سدس وبزل  
 وقد عرفت كلابكم ثيابي      كأني منكم ونسيتُ أهلي  
 نمتكم من بني شميخ زناد      لها ما شئت من فرع وأصل<sup>١</sup>

وله أيضاً :

فكم فيهم من سيد وابن سيد      وفي بعقد الجار حين يفارقه  
 يكاد الغمام الغر يزعب إن رأى      وجوه بني لأم وينهل بارقه<sup>٢</sup>

وله في ( بني نمر ) قوله :

مهلاً نمرُ فإنكم أمسيتم      منّا بشفر ثنية لم تُسترِ  
 سوداً كأنكم ذئاب خطيطة      مطير البلاد وحرّمها لم يُمطرِ  
 يحبون ما بين أجا وبرقة عالج      حبو الضباب الى أصول السخري  
 وتركم قصب الشريف طوامياً      تهوى ثنيته كعين الأعور<sup>٣</sup>

وله في الإنعاط والاعتبار بدروس الغابرين ، قوله :

ألا ترى مارباً ما كان أحصنه      وما حواليه من سور وبنيان  
 ظلّ العبادي يسقي فوق قلّته      ولم يهب ريب دهر حق خوآن  
 حتى تناوله من بعد ما هجموا      يرقى لآليه على أسباب كتآن<sup>٤</sup>

ولما في حياة الصعالمكة من غرابة وطرافة ومغامرات ، تستلذ لساعها الأذان ،  
 وضع الوضاعون عليهم أخباراً كثيرة وأشعاراً عديدة ، تجد بعضها تحكي الأيام

١ البيان والتبيين ( ٢٣٥/٣ ) .

٢ البيان والتبيين ( ٣٣٧/٣ ) .

وفي بعقد الجار ، حين يفارقه  
 وجوه بني لأم وينهل بارقه

كم فيهم من سيد وابن سيد  
 يكاد الغمام الغر يرعده ان رأى

الحيوان ( ٩٢/٣ ) .

٣ الحيوان ( ١١٣/٦ ) .

٤ الحيوان ( ١٥٤/٦ ) .

التي وضع الرضاعون فيها تلك الأشعار ، من حيث الطعن في الأغنياء ، وتفضيل الفقراء عليهم ، وترجيح الفقير على الغني ، لشعوره بشعور انساني حرم منه الغني الذي لم يكن يفكر إلا بنفسه ، كما ان في كثير من الشعر المصنوع طابع حياة المغامرات . وهو يختلف نصاً من مؤلف الى مؤلف، مما يدل على تعدد الروايات، وانه أخذ من السنة متعددة ، فتعدد بعدها .